

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الإفتاء والبحوث الإسلامية

رد التشديد في مسألة التقليد

لأبي العباس أحمد بن مبارك السجلماسي
(ت ١١٥٦هـ)
رحمه الله

دراسة وتحقيق:
الأستاذ الدكتور مولاي الحسين بن الحسن الحيان
رحمه الله



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الإفتاء والبحوث الإسلامية

ردّ التشديد في مسألة التقليد

لأبي العبّاس أحمد بن مبارك السجلماسي
(ت ١١٥٦ هـ)
رحمه الله

دراسة وتحقيق:
الأستاذ الدكتور مولاي الحسين بن الحسن ألحيان
رحمه الله

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
الكويت
ص.ب ١٣ - الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠١
فاكس: ٢٢٤٦٤٩٠٨ - ٠٠٩٦٥

الإهـداء

إلى روح شيخ التراث المالكي بالغرب الإسلامي، الّذي رحل إلى رحاب ربه وهو في عز النشاط والحيوية والعطاء، تاركاً وراءه حسرة في القلوب لا تنقضي، وفراغاً في كشف نبوغ المغاربة وإسهامهم في بناء صرح الثقافة العربية الإسلامية يبعُد أن يُشغل، الأستاذ الدكتور عمر بن عبدالكريم الجيدي، شيخي وشيخ جيل الباحثين المعاصرين.

إلى روحه الطاهرة أهدي باكورة عملي في مجال التحقيق، سائلا الله جلت قدرته أن يغفر له ويرحمه، وأن يجعل ما قدمه لتراث هذه الأمة في موازينه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا.

المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حمدا لمن بيده مقاليد السماوات والأرض، يدبر أمرها بعلم وحكمة وتقدير، ويصرف شؤونها وفق نظام متسق عجيب، لا يملك إزاءه ذو العقل السليم إلاّ التسليم بأنه الرب العليم، المدبر الحكيم، لا إله إلاّ هو إليه المصير. وصلاة وسلاما على من بعثه هاديا للأنام، داعيا إلى محجة بيضاء، من سلكها نجا، ومن حاد عنها هلك، نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد، فهذه رسالة لطيفة، حجمها صغير، ونفعها عميم، وضعها علامة المغرب أبو العبّاس أحمد بن مبارك السجلماسي، ليزيل بها ما علق بأذهان بعض الدعاة من التوغل في كلمة التوحيد، وإلزام المكلفين بمعرفة كل متعلقاتها ولوازمها على الوجه الّذي رسمه المتكلمون، وأن من لم يعرف النفي والإثبات على طريقتهم كافر لا يضرب له في الإسلام بنصيب، ساعياً وراء هذه الرسالة إلى بيان وجه الحق في المسألة، وإطفاء فتنة كادت تعصف بوئام أهل العلم في زمنه، خاصة ببلده سجلماسة.

فكانت الرسالة على وجازتها غاصَّةً بمعارف غزيرة، وتحقيقات علمية شافية، وردوداً مفحمة على أقطاب الجدل والكلام، ونيلاً صريحاً من علم الكلام وأهله، وتشكيكاً قوياً في قدرته على الوصول إلى الحقائق العلمية؛ لأن كثيراً من قواعده جدلية لا برهانية.

وقد استعار السجلماسي معاول هدم أسس علم الكلام من أقطابه البارزين؛ كالغزالي في «منقذه»، والآمدي في «أبكاره»، والرازي في «محصله»، مبديا خبرة واسعة بعلوم القوم، واطلاعاً مكيناً بمصادر الكلام ومدوناته، مستهدياً في كل ذلك بالمعرفة الإسلامية القائمة على النقل، المستبصرة بما بُثّ في الأنفس والكون والحياة من دلائل التوحيد وأعلام النبوة.

أمعنت النظر في الرسالة، وقرأتها قراءة تدبر وتمعن، وقدرت أن يكون في نشرها

سدٌّ لنقص عانت منه المكتبة المغربية وما تزال، وإسهامٌ في إحياء تراث أعلام مغربنا، والله من وراء القصد والهادي إلى أقوم طريق. وصلى الله على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه.

كتبه عبيد ربه وأسير ذنبه

مولاي الحسين بن الحسن ألحيان التناني التغانيميني

استاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة

بكلية الشريعة بمدينة اغادير

المملكة المغربية

التمهيد

أمهد لهذه الرسالة بفصلين: أحدهما في ترجمة السجلماني، والثّاني في دراسة رسالته: «رد التشديد في مسألة التقليد».

الفصل الأول: ترجمة السجلماسي

انتعش العلم والفكر في القرن الحادي عشر والثّاني الهجريين في المغرب الأقصى، ونبغت طائفة من قادة العلم وأرباب الفكر، حصّلت معارف جمة، ومثّلت ثقافة عصرها، وأضافت جديداً إلى صرح المعرفة، وأثْرَتْ فنونها تنقيحاً وتهذيبا وتمحيصا وتحريرا، فكانت إسهاماتها المعرفية تعكس بجودتها ونفاستها إسهامات مَن تقدمهم من عباقرة الأمة الإسلامية مشرقاً ومغرباً. وكان حظ العلوم الشرعية من فقه وتفسير ولغة وحديث وأصول... في هذه الإسهامات كبيراً، وثراء مادتها واسعاً، وغناء مكتبتها واضحا جليا.

ومن فرسان هذه الطائفة في مغربنا الأقصى، العلامة المحقق، الحافظ المتمكن، الحامل راية التفنن في المعقول والمنقول، الضارب بسهم وافر في كل الفنون، الجامع في إنتاجه العلمي بين التحقيق والتحرير والتدقيق، أبو العبّاس أحمد بن مبارك السجلماسي، الّذي وفد على حاضرة فاس في العهد الإسماعيلي للطلب والتعليم، فكان من أعلامها المبرزين، الّذين تشد إليهم الرحال، ويقصدهم النّاس من كل الجهات بالسؤال والاستفتاء. أفلا يحق لنا أن نحتفي بعالم مغربي أصيل، ملأ دنيا النّاس في زمنه تدريسا وتأليفا وإفتاء؟ وخلف لنا تراثا علميا نفيسا، يعبر بصدق عن الإسهام المغربي في تطوير المعارف والدفع بها إلى الأمام. فمَن هو السجلماسي إذن؟ ذلك ما سيكشف عنه هذا الفصل المخصص لحياته متبعا العناصر الآتية:

اسمه ونسبه

هو أحمد بن مبارك بن محمَّد بن علي، أبو العبّاس اللمَطي، البكري الصديقي، المعروف بالسجلماسي.

اكتفت مصادر ترجمته في سياق نسبه بهذا، وزاد عليه هو نفسه جدَّيْن آخرين حين أنهى بعض كُتبه بقوله: «قاله وكتبه عبيد ربه أحمد بن مبارك بن محمَّد بن علي ابن عبدالرحمن بن مبارك السجلماسي اللمطي»[1]. وشذَّ أبو الربيع سليمان الحوات

---

(١) فهرسة إجازته للمكودي (ورقة ١٣)، رد التشديد في مسألة التقليد (ورقة ٢٢٤).

(ت١٢٣١هـ) في كتابه «الروضة المقصودة» فسمَّى أباه علياً، وجدَّه محمداً، مخالفا بذلك كل الذين ترجموا له قبله وبعده[٢]. قال - وهو يرفع نسبه بالاتصال الثابت -: إنه الإمام أبو العبّاس أحمد بن علي بن محمَّد بن المبارك[٣].

فاللَّمَطِي[٤] - باللام المشددة، بعدها ميم مفتوحة - نسبة لِلَمَط - بالتحريك - ولَمط رهط من سجلماسة، ولمط أيضاً قرية من قرى المدينة العامرة (سجلماسة) أيام عمرانها وازدهارها[٥].

والبكري - بفتح الباء المنقوطة بواحدة، وسكون الكاف، وفي آخرها الراء - نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه، وكذلك الصِّدِّيقي. كان ينتسب إليه خلق كثير[٦].

هذا، وقد نص بعض مترجميه[٧] على أنّه موصول النسب بسيدنا أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه.

---

(٢) وتابعه في هذا محقق كتاب «تحرير مسألة القبول» ص٤٦، مع أنّه وقف على النص نفسه ونقله.

(٣) الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة، ص٢٩٠.

(٤) بفتح أوله وثانيه، وليس بسكون الميم كما ظن صاحب «مؤرخو الشرفا» (ص٢٢٠) حين نسبه إلى لَمْطة - بالفتح ثُمَّ السكون، وطاء مهملة -؛ لأن لَمْطة أرض وقبيلة بأقصى المغرب من ناحية سوس، بينما لَمط قرية من قرى سجلماسة. انظر: نشر المثاني ٢/٢١٠، معجم البلدان ٥/٢٣.

(٥) نشر المثاني ٤/٩٤، التقاط الدرر ص٣٩٢، الروضة المقصودة ص٢٩٠، سلوة الأنفاس ٢/٢٠٣، الإعلام للمراكشي ٢/٣٨٣. ولا أدري على اي شيء اعتمد محقق كتاب «تحرير مسألة القبول» (ص٤٦ هامش رقم٢) حين قال: لازالت معروفة ومسكونة لحد الآن! مع أن كل من كتب عنها من المؤرخين قديما وحديثا أشار إلى خرابها واندراسها. بل مدينة سجلماسة التي تعتبر (لَمط) قرية من قراها لم يبق منها سوى بعض قصور متهدمة، مرتصفة على طول وادي زيز. راجع: وصف إفريقيا للحسن الوزان ص٤٩٣.

(٦) انظر: الأنساب ١/٣٨٥، ٣/٥٣١، اللباب في تهذيب الأنساب ١/١٧٠، ٢/٢٣٧.

(٧) كأبي الربيع الحوات في الروضة المقصودة ص٢٩٠، والكتاني في السلوة ٢/٢٠٣.

والسجلماسي: نسبة إلى سِجِلْمَاسَة – بكسر أوله وثانيه، وسكون اللام، وبعد الألف سين مهملة – وهي مدينة في تافيلالت في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى[٨].

ولادته ونشأته

وُلد أبو العبّاس السجلماسي في حدود التسعين وألف (١٠٩٠هـ) من الهجرة النبوية ببلده سجلماسة[٩]. وبها تعلّم، وحفظ القرآن الكريم، وجمع هنالك القراءات السبع برواياتها على ابن خالته وابن عم جد والده الإمام الشهير والعارف الكبير سيدي أحمد الحبيب (ت١١٦٥هـ)، وقرأ عليه شيئاً من النحو[١٠].

أما عن نشأته وصباه، وكيف قضى طفولته وشبابه: فقد شحت المصادر عن البسط في تفاصيل سيرته في هذه الفترة من حياته. إذ لم تزد على أن نصت على تفقهه صغيرا على ابن خالته أحمد الحبيب، وأخذه عنه القراءات القرآنية والنحو العربي. ثُمَّ قفزت بنا إلى انتقاله إلَى حاضرة فاس بقصد القراءة والتعلم وهو ابن عشرين سنة. فطوت عنا بذلك سجلا طريفا من أحداث طفولته وصباه، وحجبت عنا من الفوائد والتفاصيل ما يكون عونا للباحث على تكوين ملامح واضحة من سيرته، والوقوف على الروافد العلمية الّتي أدت إلى نبوغه المبكر، وصنعت منه عالما موسوعيا أخذ من كل فن بحظ وافر. وقد كان بإمكانه أن يقدم لنا بنفسه ترجمة ذاتية على غرار ما يفعله جل العلماء، لكنه لم يفعل، إذ فضل الإمساك، والتزم الصمت عن ذكر ماضيه وأسرته، مما يدفع إلى الظن أنّه لم يجد في طفولته أو شبابه ما يدعوه إلى تدوينه ورصده[١١].

إلاَّ أننا نستطيع ان نتصور الطريقة المتبعة في تعليم الناشئة ببلاد المغرب في

---

(٨) وهي الريصاني حالياً، تبعد عن أرفود بحوالي ٢١ كلم، والراشدية بـ٧٤ كلم، وعن الرباط بحوالي ٥٥٦ كلم. وقد عرفت سجلماسة ازدهارا عظيما بفضل التجارة خلال القرون السبعة الهجرية الأولى. راجع في موقعها وبنائها وأحوال أهلها: معجم البلدان ١٩٢/٣، الروض المعطار ص٣٠٥-٣٠٧، وفي موضوع أفول نجمها وخرابها: وصف إفريقيا للوزان ص٤٩٢، وتقييدا في التعريف بسجلماسة لأبي محلي (الخزانة الحسنية رقم ٢٦٣٤)، وتقييدا في تاريخ سجلماسة لابن زيدان (الخزانة الحسنية رقم ١٢٢٢٤)، والحركة الفكرية في عهد السعديين للأستاذ حجي ٥١٩/٢، ٥٢٨، ومقالا في اعتناء الموحدين بسجلماسة للأستاذ البلغيتي (دعوة الحق، ع٢٨٠، السنة ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

(٩) نشر المثاني ٤٢/٤، الروضة المقصودة ص٢٩١، السلوة ٢٠٣/٢، شجرة النور ٣٥٢/١.

(١٠) نشر المثاني ٤١/٤، الروضة المقصودة ص٢٩١، السلوة ٢٠٣/٢.

(١١) راجع: تحرير مسألة القبول ص٤٧.

عصره، فقد كتب عنها العلماء قديماً وحديثاً ما بين مؤيد ومعارض[١٢]. فالكُتَّاب أو «المسيد» هو أوّل مدرسة تحتضن الناشئة. والقرآن الكريم هو أوّل ما يُعنى الأطفال بحفظه للتعود على القراءة وترويض الذاكرة. وإذا انتهى الطفل من حذقه، فإنَّه يقبل أوّل الأمر على استظهار بعض المتون، ولا بُدّ من استيعابها للإلمام بالمبادئ الأولى في النحو والعقيدة والفقه[١٣]. فاللغة والدين هما المعينان اللذان يجب على كل راغب في التحصيل أن يرتشف منهما، بل أن يتضلع فيهما. وذلك هدف لا يتحقق إلاّ بالجلوس صباح مساء في حِلَق الشيوخ المتبحرين في العلم، سواء في المساجد أو في الزوايا.

ومترجَمنا العلامة السجلماسي لا يكون بعيدا عن أجواء هذا الوسط، فقد يصدق عليه ما ذُكر أو بعض منه على الأقل. وعلى كل حال، فهو وإن لم نعرف نشأته وأسرته، فإن العلماء قد ترجموا له على أنّه عالِم فاس في وقته بلا منازع[١٤].

رحل إلى فاس بقصد تتميم الدراسة، فدخلها سنة عشر ومائة وألف (١١١٠هـ)، فأخذ عن عامة شيوخها، واختلف إلى حلقات أكابر علمائها، فتضلع في علوم الشريعة واللغة حَتَّى ادعى الاجتهاد، وامتلأ وطابه من المعارف حَتَّى صار متحققا لما يدرس في القرويين من منقول العلوم ومعقولها.

شيوخه

وما كان العلامة السجلماسي ليتبحر في المعارف، ويشارك في كثير من الفنون لولا ما فُطر عليه من همة عالية، وعزم أكيد في الطلب، وما رُزق من مشيخة درَّاكه، عالِمة فهَّامة، تنشر اللآلىء والمعارف، ودرر الفنون في رحاب القرويين وغيرها من مراكز العلم بفاس.

تلقى العلم من شيوخ أجلاء، ذكر بعضهم في فهرسته الَّتي أجاز بها تلميذه أحمد المكودي، وورد آخرون في بعض مظان ترجمته. ونعرض فيما يلي أبرز هؤلاء، وأكثرهم تأثيراً في شخصيته.

(١٢) راجع للتوسع: الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري، ص١٣ وما بعدها.

(١٣) انظر: العواصم من القواصم لابن العربي ص٣٦٧، مقدمة ابن خلدون ٣/١٢٥٠، الفكر السامي ٢/١٧٦-١٧٧، مؤرخو الشرفا ص٢٨-٢٩.

(١٤) نشر المثاني ٤/٤٢، مناقب الحضيكي ١/١١٣.

١ - ابو العبّاس أحمد بن العربي بن محمَّد بن علي المعروف بابن الحاج الفاسي (ت١١٠٩هـ)[١٥]

الفقيه الإمام، القدوة الشهير، المدرس النفاع، ولد بفاس عام ١٠٤٢هـ، وقرأ بها على أكابر الشيوخ، ورحل حاجا إلى بيت الله الحرام، ولقي في رحلته شيوخا مشارقة مشهورين؛ كزين الدِّين الطبري، وعبدالسلام اللقاني، والإمام الخرشي، وغيرهم[١٦].

وقد أُسندت إلى ابن الحاج بعض الكراسي العلمية بالقرويين، وأخذ عنه جماعة أدرك بعضهم شهرة واسعة؛ أمثال عبدالسلام القادري، وعبدالسلام جسوس، وابن زاكور، والمسناوي الدلائي، وأحمد بن مبارك السجلماسي[١٧]، الَّذي قال في حقه: «شيخنا فريد عصره، وإمام دهره»[١٨].

كما أسند إليه منصب القضاء بفاس عام ١١٠٥هـ، فسار فيه بالعدل والإنصاف إلى أن أدركه أجله عام ١١٠٩هـ.

---

(١٥) ترجمته في: نشر المثاني ٨٢/٣، التقاط الدرر ص٢٧٣، الشجرة ٣٢٧/١، فهرس الفهارس ١١٧/١، اليواقيت الثمينة ص٣٢.

وانبه هنا إلى وهم وقع فيه الأستاذ محمَّد الأخضر حين ظن أن المترجَم له هنا هو المقصود عند صاحب كتاب «مؤرخو الشرفاء» (ص٢٦٢) الذي ترجم لعالم آخر هو ابو العبّاس أحمد بن محمَّد ابن الحاج السُّلمي المرداسي (ت١٢٧٤هـ). وتبعه في هذا الوهم محقق كتاب السجلماسي «تحرير مسألة القبول» (ص٥٦). وزاد هذا الأخير خطأ آخر حين جعل تاريخ وفاته عام ١١٢٩هـ؛ مع أن المصادر التي أحال عليها في ترجمته اتفقت على أن تاريخ وفاته كانت عام ١١٠٩هـ. أما المتوفى عام ١١٢٩هـ فهو أبو عبدالله محمَّد بن أحمد المعروف بابن الحاج الفقيه القاضي كما في شجرة النور ٣٣٢/١.

(١٦) له فهرسة تتضمن إجازته العامة، جمعها له تلميذه محمَّد بن عبدالسلام بناني. انظر: فهرس الفهارس ١١٨/١، الحياة الأدبية ص١٣٧.

(١٧) وقد يُشكل على هذا ما قرره المترجمون للسجلماسي من أنَّه لم يدخل فاسا لطلب العلم إلاّ عام ١١١٠هـ، أي بعد موت ابن الحاج بسنة، فكيف يتسنى له أن يأخذ عنه؟ اللهم إلاّ إذا تكرر دخوله فاسا قبل هذا التاريخ، وهو الظاهر، والله تعالى أعلم.

(١٨) فهرسته (ورقة ٨).

٢ - أبو عبدالله محمد بن أحمد القسنطيني الحسني (ت١١١٦هـ)(١٩)

علامة الزمان، وفريد العصر والأوان، وفارس المعقول والمنقول، وقدوة أهل الدراية والتدقيق. رحل من بلده إلى فاس، وتصدر للتدريس بها فأفاد وأجاد، وأتى في دروسه بما يبهر العقول والألباب.

سمع منه السجلماسي «صحيح البخاري»، وجملة صالحة من التفسير، ومختصر الشّيخ خليل إلى الصداق، كما سمع منه العقيدة الصغرى للسنوسي مرارا(٢٠).

فهو حافظ مطلع، وبنفائس العلوم متضلع. له أجوبة حسنة في نوازل كثيرة، دالة على مهارته، وإتساع ملكته. ولانشغاله بالتدريس لم يتفق له التصنيف، وإلا فهو أحق به(٢١).

٣ - أبو عبدالله محمد بن عبدالقادر الفاسي (ت١١١٦هـ)(٢٢)

الفقيه المشارك المتفنن، الدراكة المحقق المتقن. أحد أعلام فاس البارزين، وبَدرها الطالع في أفق سمائها. بهر العقول في المعقول والمنقول، وأحرز قصب السبق في علوم شتى، كالنحو والبيان والمنطق والحديث والسير والأصول والفقه والتصوف.

أخذ عنه عامة طلبة فاس وعلمائها ممن أدركوه: ومنهم فقيهنا السجلماسي(٢٣). ألف في اللغة والنحو والفقه والمنطق. وكان عمدة النّاس في الحوادث الوقتية، ومرجعهم في النوازل المستجدة.

٤ - أبو العبّاس أحمد بن علي الجيروندي الأندلسي الفاسي (ت١١٢٥)(٢٤)

العالِم الورع، الدراكة المشارك، القدوة الناصح. إمام مسجد الشرفاء بفاس، ومدرس العلوم فيه. أخذ عن مشايخ فاس، وصحب أحمد بن محمَّد معْن(٢٥) وانتفع به. عُين قاضيا فاحتال لنفسه في الفرار منه بأن تحامق حَتَّى أُقيل.

---

(١٩) ترجمته في: نشر المثاني ١٥٤/٣، التقاط الدرر ص٢٩٣، السلوة ٣٠/٢، الشجرة ٣٢٩/١.

(٢٠) نصَّ على ذلك في فهرسته (ورقة ٧-٨).

(٢١) كما يقول القادري في نشر المثاني ١٥٥/٣.

(٢٢) ترجمته في: نشر المثاني ١٥١/٣، التقاط الدرر ص٢٩٢، السلوة ٣١٦/١، الشجرة ٣٢٩/١.

(٢٣) كما نص في ذلك الحوات في الروضة المقصودة ص٢٩١، والكتاني في السلوة ١٦/٣.

(٢٤) ترجمته في: نشر المثاني ٢١٥/٣، التقاط الدرر ص٣٠٨، السلوة ١٦/٣.

(٢٥) من العارفين بالله، وأكابر أهل الحقيقة في زمنه، وممن رسخت قدمه في اتباع السنة على قدم السلف الصالح. توفي رحمه الله عام ١١٢٠هـ. انظر: نشر المثاني ١٨٢/٣.

أخذ عنه السجلماسي، وحلاه بقوله: «ومنهم شيخنا الإمام، المتواضع الهُمَام، أبو العبّاس سيدي أحمد الجيروندي، عن شيخ الجماعة، وإمام أهل الصناعة...»[٢٦].

٥ - أبو عبدالله محمد العربي بن أحمد بردلة الأندلسي الفاسي (ت١١٣٣هـ)[٢٧]

عالم فاس وفقيهها، وشيخ الجماعة بها، وقاضيها العادل. خاتمة العلماء المحققين. كان له معرفة بالعربية والفقه والنوازل. انتفع به جماعة من أهل فاس؛ منهم فقيهنا السجلماسي[٢٨] وغيره. له أجوبة فقهية دالة على اتساع محصوله المعرفي.

٦ - أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد المسناوي الدلائي (ت١١٣٦)[٢٩]

أحد أركان القرويين بفاس، وممن نفخ فيها روح التجديد[٣٠]. كان آية في الحفظ والإتقان، وحجة في صحة الفهم والإدراك. رُزق ملكة عجيبة في التدريس، وعارضة قوية في الفتوى، فأصبح الحجة فيها، والعمدة فيما يستجد من نوازل ومعضلات.

تلمذ له كثير من المشايخ؛ كأبي عبدالله ميارة الصغير، وأبي محمَّد عبدالقادر الفاسي، وأبي العبّاس السجلماسي، الذي سمع منه «مختصر السعد على التلخيص»، و«مختصر الشيخ السنوسي في المنطق»، و«ألفية ابن مالك». وأجاز له في جميع ما لديه[٣١].

له مؤلفات عديدة في التراجم والفقه والتصوف والأدب[٣٢].

٧ - أبو علي الحسن بن رحال المعداني التادلي (ت١١٤٠هـ)[٣٣]

أجل أعلام الزمان، وكبراء الأوان. له عارضة كبيرة في الفقه، واتساع عظيم في

---

(٢٦) فهرسته (ورقة ٨).

(٢٧) ترجمته في: نشر المثاني ٣/٢٤٧، التقاط الدرر ص٣٢٠، السلوة ٢/١٣٨، الشجرة ١/٣٣٢.

(٢٨) كما في الروضة المقصودة ص٢٩١، والسلوة ٢/٢٠٣.

(٢٩) ترجمته في: نشر المثاني ٣/٢٦٥، التقاط الدرر ص٣٢٧، السلوة ٢/٤٤، الشجرة ١/٣٣٣.

(٣٠) ولا أدل على ذلك من انتصاره لسنة القبض في الصلاة في رسالته «نصرة القبض والرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض» في وقت كان جل الاعتماد فيه على الفرعيات المنقولة عن فقهاء المذهب، دون الرجوع إلى الأصول الثابتة والسنن الصحيحة، فكان ذلك من أعلام تجديده وترفعه عن التقليد. طبعت رسالته بتطوان عام ١٣٦٧هـ.

(٣١) كما نصَّ على ذلك في فهرسته (ورقة ٩-١٠).

(٣٢) انظرها في: التقاط الدرر ص٣٢٨، مؤرخو الشرفا ص٢١٤، الحياة الأدبية ص١٩٧-١٩٩.

(٣٣) ترجمته في: نشر المثاني ٣/٢٩٤، التقاط الدرر ص٣٣٨، الشجرة ١/٣٣٤، النبوغ ١/٢٩٧.

النوازل، وتدبر قوي في الفتوى والقضاء. تولى التدريس بالمدرسة المتوكلية من طالعة فاس، فكان له صبر على الإقراء والبحث والمناقشة لا يقاوَم حَتَّى دُعي صاعقة العلوم. كان من حفاظ المذهب، ومن أركانه التي يرجع إليها في فتاويه.

أخذ عنه السجلماسي الفقه[٣٤]، وشهد له بإصابة الحق، وقطع دابر الخلاف في بعض أبحاثه التي اطلع عليها.

خلف مؤلفات تعتبر غاية في التحرير والإتقان والجمع والتحصيل؛ منها:

- حاشية كبرى على مختصر خليل (خع[٣٥]: ٨٦٨ك).
- حاشية على شرح ميارة لتحفة ابن عاصم (خع: ٨٧٣د).
- الارتفاق في مسائل من الاستحقاق (خع: ١٠٧٩د)[٣٦].
- ضمان القناع عن مسائل الصناع (خع: ١٤١٨د[٣٧]).
- البارع في أحكام النجوم (خع: ٢٨٨ك).

ولي قضاء فاس الجديد، وقضاء مكناس، وبها توفي في رجب عام ١١٤٠هـ.

٨ - أبو الحسن علي بن أحمد الحريشي (ت١١٤٢هـ)[٣٨]

العلامة المحدث، المسند المعمر الرحال. تلقى العلم عن سيدي عبدالقادر الفاسي وجماعة. وقرأ عليه السجلماسي علوما كثيرة، كما ذكر في إجازته للمكودي، حيث قال: «شيخنا الإمام، القدوة الهُمَام، أبو الحسن سيدي علي الحريشي الفاسي. قرأت عليه صحيح البخاري من أوله إلى آخره وهو يسمع، وقرأت عليه شمائل الترمذي من أوله إلى آخره بقراءتي وهو يسمع، وقرأت عليه صحيح مسلم بقراءتي وهو يسمع، ولم نكمله، وقرأت عليه جملة صالحة من التفسير»[٣٩].

---

(٣٤) قال في فهرسته (ورقة ١٢): شيخنا في الفقه شيخ الإسلام سيدي الحسن بن رحال المعداني رحمه الله.

(٣٥) يرمز للخزانة العامة بالرباط برمز: خع، وللخزانة الحسنية بالرباط أيضاً ب: خح.

(٣٦) نشرته مكتبة الرشد بالرياض عام ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م بتحقيق الأستاذ محمَّد بن سليمان المنيعي.

(٣٧) نشرته بيت الحكمة بتونس ١٩٨٦م، ودار البشائر ببيروت ١٩٩٦م، بتحقيق د. محمَّد أبو الأجفان.

(٣٨) ترجمته في: نشر المثاني ٣/٢٦١، التقاط الدرر ص٣٥٩، سلك الدرر ٣/٢٠٥، تحفة المحبين والأصحاب للأنصاري ص١٨١، الشجرة ١/٣٣٦، فهرس الفهارس ١/٣٤٢.

(٣٩) فهرسته ورقة ٨-٩.

استجازه السجلماسي فأجازه. قال القادري[40]: «واستجازه شيخنا سيدي أحمد بن مبارك السجلماسي، عن سيدي عبدالقادر الفاسي...».

له إقدام على التأليف، فشرح «موطأ مالك»، و«كتاب الشفا» لعياض، و«شمائل الترمذي». واختصر «الإصابة» لابن حجر، و«نفح الطيب»، وغيرهما. إلاّ أن أهل عصره لم يذعنوا له، ولم يسلموا له، وأكثروا عليه من القيل والقال، حَتَّى قال فيه عبدالله بن عبدالسلام جسوس منظومة؛ منها:

قل للحريشي الجهول الَّذي	يزعم أن صنف شرح الشفا
نسختَ شروح الأُلى سلفوا	ولفظَهم في نقولها حرفا

توجه للحج، وتوفي بالمدينة المنورة في غرة جمادى الأولى عام ١١٤٢هـ[41]، ودفن بالبقيع.

٩ - أبو فارس عبدالعزيز بن مسعود الدباغ الحسني (ت١١٤٢)[42]

شيخ صوفي من الأسرة الإدريسية بفاس، كانت تظهر على يديه كرامات وكشوفات يحدث عنها الناس، ثُمَّ وقع له الفتح - كما في الإبريز[43] - يوم الخميس ثامن رجب عام خمسة وعشرين ومائة وألف، نتيجة مواظبته على تلاوة ورد سبعة آلاف مرة.

كان من الشيوخ الأوائل الَّذين تأثر بهم السجلماسي بفاس أيما تأثر، وألف في حقه كتابا سماه «الذهب الإبريز، في مناقب الشيخ عبدالعزيز». وحدث عنه بعجائب في أنواع من الكشف وأسرار النبوة، وحلاه بأوصاف تقف عندها العقول. وكان أوّل اجتماعه به - كما صرح[44] بذلك - في رجب سنة خمس وعشرين ومائة وألف.

وقد بالغ السجلماسي في الثناء على شيخه لما شاهد من علومه ومعارفه، وشمائله ومكاشفاته، مع أنّه أُميٌّ لم يتعاط العلم. قال الكتاني[45]: «كان له علم عظيم مع أنّه لم

(٤٠) في نشر المثاني ٣/٣٦٢، وانظر: فهرس الفهارس ١/٢٤٣.

(٤١) حسب رواية المرادي في سلك الدرر ٣/٢٠٥، ولعلها الأصح. أما القادري في النشر ٣/٣٦١، والتقاط الدرر ص٣٥٩، فقد أجّل وفاته إلى عام ١١٤٥هـ. وجعلها محقق «تحرير مسألة القبول» (ص٥٧) عام ١١٤٨هـ، ولا أدري ما معتمده في ذلك.

(٤٢) ترجمته في: نشر المثاني ٣/٢٤٥، التقاط الدرر ص٣١٥، السلوة ٢/١٩٧.

(٤٣) في الذهب الإبريز ص١٤.

(٤٤) في الذهب الإبريز ص٥.

(٤٥) في السلوة ٢/١٩٨.

يتعاط شيئا منه لا في صغره ولا في كبره، بل ولا قرأ القرآن، ولا يحفظ إلا سوراً قليلة من حزب (سبح). وإذا سمعته يتكلم في تفسير آية سمعت منه العجب العجاب»[٤٦].

ويبدو أن السلجماسي قد انقاد بكليته إلى شيخه، وتمكنت محبته من ظاهره وباطنه، فسلبت له الإرادة في علمه وعمله، وتبعه بقلبه وقالبه، حَتَّى لا يكاد يسلو عنه طرفة عين، فظهرت عليه آثار صحبته، وانتفع غاية النفع بمعرفته [٤٧].

وتوفي الدباغ عام اثنين وأربعين ومائة وألف[٤٨]، ودفن خارج باب الفتوح، وقبره معروف بفاس إلى الآن.

١٠ - أبو العبّاس أحمد الحبيب بن محمّد اللمّطي السجلماسي (ت١١٦٥هـ)[٤٩]

الفقيه المدرس، الزاهد الكبير، أشهر قراء سجلماسة، وهو ابن خالة السجلماسي وشيخه قبل أن يرحل إلى فاس. صرح جل من ترجم لابن المبارك أنّه جمع على يديه القراءات القرآنية برواياتها السبع، كما قرأ عليه طرفا من قواعد النحو.

تصوف وظهرت على يديه كرامات. توفي في رابع المحرم عام خمسة وستين ومائة وألف، ودفن بداره من اللمّط من سجلماسة.

---

(٤٦) قلت: هذا كلام غريب، يحتاج مثله إلى دليل صحيح.

(٤٧) انظر: الروضة المقصودة ص٢٩٣، السلوة ٢/٢٠٤، تحرير مسألة القبول ص٦٣.

(٤٨) هذا ما سطره القادري في نشر المثاني ٣/٢٤٦، إلا أنه في التقاط الدرر (ص٣١٥) جعل وفاته عام اثنين وثلاثين ومائة وألف. وهو الذي يتناسب مع ما قرره السجلماسي في كتاب الإبريز من ان جل ما قيده فيه عن شيخه، إنما هو ما سمعه منه خلال شهور رجب وشعبان ورمضان وشوال وذي القعدة من عام تسع وعشرين ومائة وألف، معلقا على ذلك بقوله: «فعلمت أني لو قيدت ما سمعت منه في السنين الأربع الماضية لكان أزيد من مائتي كراس، وآفة العلم عدم التقييد». ولو امتد به العمر إلى عام ١١٤٢هـ لما انقطع السجلماسي عن الاستمداد منه، والله تعالى أعلم.

(٤٩) ترجمته في: نشر المثاني ٤/٩٤، التقاط الدرر ص٤٢٤، السلوة ٢/٣٤٩، الشجرة ١/٣٥٤.

وللسجلماسي غير ما ذكر من المشايخ [٥٠]. كما كانت له أسانيد عالية في رواية الحديث[٥١]، وأُمَّات كتب المذهب المالكي[٥٢].

تلاميذه

تلقى العلم من فقيهنا السجلماسي جماعة لا يحصون، حملوا راية المعرفة بعده، فأصبحوا فرسان الفكر، وبدور الهدى في سماء المعارف والفنون. نجتزئ منهم طائفة نعرض أسماءها عرضا، وأخرى نخصها بكلمة موجزة لشدة اتصالها بالشيخ، وطول ترددها على دروسه.

أما الأولى؛ فمنها: أبو عبدالله محمَّد بن محمد - بفتح الميم - المدعو بابن عزوز (ت ١١٥١هـ)[٥٣]، وأبو عبدالله محمَّد الهادي بن محمَّد الشريف الحسني (ت١١٦٣هـ)[٥٤]وأبو علي الحسن بن علي المعروف بأبي عنان الشريف (ت١١٦٣هـ)[٥٥] وأبو عبدالله محمَّد بن أحمد المدعو بابن الرخاء اللمطي (ت١١٦٣هـ)[٥٦]، وأبو عبدالله محمَّد بن طاهر الفاسي (ت١١٧٨هـ)[٥٧]، وأبو عبدالله محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبدالقادر الفاسي (ت١١٧٩هـ)[٥٨]، وأبو عبدالله محمَّد المدعو أبو مدين بن أحمد الفاسي (ت١١٨٢هـ)[٥٩]، وأبو العبّاس أحمد حمدون بن محمَّد الطاهر الجوطي (ت١١٩١هـ)[٦٠]، وأبو

---

(٥٠) أمثال أبي عبدالله محمَّد بن عبدالسلام البناني (ت١١٦٣هـ) كما في مناقب الحضيكي ١/١١٢، وعبدالسلام الحلوي الذي قرأ عليه النحو كما في نشر المثاني ٤/٤١، وأبي علي الحسن اليوسي (ت١١٠٢هـ) كما في شجرة النور ١/٣٢٨. وفي سماع السجلماسي من اليوسي ولقائه به نظر. انظر: فهرس الفهارس ٢/١١٥٨.

(٥١) فقد روى «الصحيحين» بالسند المتصل إلى مؤلفيهما؛ كما في فهرسته ورقة ٧، وفهرسة محمَّد بن سيدي قاسم القادري ص٨.

(٥٢) انظر: فهرسة السجلماسي ورقة ٨، فهرسة التاودي ص٨.

(٥٣) نشر المثاني ٤/٩.

(٥٤) نفسه ٤/٧.

(٥٥) نفسه ٤/٧٦.

(٥٦) نفسه ٤/٧٧.

(٥٧) الشجرة ١/٣٥٤.

(٥٨) الشجرة ١/٣٥٥.

(٥٩) نفسه.

(٦٠) مؤرخو الشرفا ص٢٣٢.

الحسن زين العابدين المدعو زيان بن هاشم العوافي الحسني الفاسي (ت١١٩٤هـ)[٦١]، وأبو المحاسن يوسف بن أحمد بن ناصر الدرعي[٦٢].

وأما الثانية، فنعرض منها:

١ - أبو العبّاس أحمد بن حسن المكودي المعروف بالورشاتي (ت١١٦٩هـ)[٦٣]

نزيل تونس. أخذ عن السجلماسي بفاس، وتردد لدروسه الزمن الطويل. استجازه من تونس، فأجازه إجازة عامة سنة ١١٤٣هـ، جاء فيها: «فإن الفقيه الوجيه، المدرس النزيه، صاحب الفهم الغواص، الذي يعجز عنه كثير من الخواص؛ أبا العباس سيدي أحمد المكودي... طلب من العبد الحقير، المعترف بالقصور والتقصير، أن يجيزه فيما لديه من معقول ومنقول، وفروع وأصول. فأجبته إلى ذلك جبرا للخاطر، ورعيا لما عسى أن يكون له فيه من النفع الحاضر»[٦٤]. إلى أن قال: «وقد أجزت أخانا في الله ومحبنا فيه، الفقيه المستجيز في جميع ما أجازنا فيه أشياخنا رحمهم الله، وفي جميع ما لدينا من تقاليد ومقطعات...»[٦٥].

تقلد الفتيا بتونس، وتصدر للتدريس، ورأس إفتاء المالكية بها. قال عنه الشيخ الفاضل بن عاشور: «وبمقدم الشيخ أحمد المكودي اجتمعت لفاس مع سمعتها العلمية بتونس، سمعة أخرى رفيعة في صناعة الحديث والإسناد، وعلت السمعيات. وهو تلميذ الشيخ الحريشي، والشيخ أحمد بن مبارك. فاستقر بتونس، وولي الإفتاء بها، ووصل أسانيدها من طريق شيخه بأسانيد الشيخ عبدالقادر الفاسي»[٦٦].

٢ - أبو العبّاس أحمد بن عبدالعزيز الهلالي السجلماسي (ت١١٧٥هـ)[٦٧]

الفقيه المحدث الأديب. قرأ بسجلماسة على أحمد الحبيب، وحضر في فاس

---

(٦١) الشجرة ٣٤٧/١.

(٦٢) نفسه ٣٥٨/١.

(٦٣) ترجمته في: الشجرة ٣٤٦/١، الفكر السامي ٢٩٠/٢.

(٦٤) فهرسة السجلماسي ورقة ٧-٨.

(٦٥) نفسه ورقة ١٠.

(٦٦) فاس من خلال المخطوطات التونسية ص١١ (مقال بمجلة المغرب، ع. ٦-٧، سنة ١٩٦٥م) نقلا عن: تحرير مسألة القبول ص٦٥.

(٦٧) ترجمته في: نشر المثاني ١٤٣/٤، التقاط الدرر ص٤٤٣، الشجرة ٣٥٥/١، اليواقيت الثمينة ص٢١، فهرس الفهارس ١٠٩٩/٢.

مجالس ابن المبارك، والكبير السرغيني وغيرهما[٦٨]، فصار إماماً في تحصيل العلوم وتحقيقها.

حج مرتين، ولقي مشايخ الحرمين، وانتهى به المطاف في سجلماسة حيث توفي يوم ٢١ ربيع الأول عام ١١٧٥هـ. وله تراث فكري هام في الفقه واللغة والحديث: نذكر منه:

- تفسير القرآن الكريم (خ ح: ٥٣٤٥ بها خروم شديدة بالهامش).
- نور البصر في شرح المختصر (لم يتم. طبع طبعة حجرية).
- عرف الند في حكم حذف المد (خ ع: ١٣٧١د، ١٦٤١د).
- المراهم في أحكام فساد الدراهم (خ ع: ١٠٨١د). وغيرها كثير[٦٩].

٣ - أبو العلاء إدريس بن محمَّد العراقي الحسني الفاسي (ت١١٨٣هـ)[٧٠]

انفرد بالإمامة في الحديث في وقته، فكان لا يقاومه فيه أحد، واعترف له بذلك شيوخه وأقرانه حَتَّى لقبوه بسيوطي زمانه. داوم على حضور مجالس ابن المبارك حَتَّى صار أنبغ تلاميذه، فكان يبالغ معه في تحقيق مسائل الحديث، ويشير إلى الرجوع إليه فيه[٧١]. قال في فهرسته: «وسمعت على شيخنا ومفيدنا وعمدتنا الشيخ العالم المشارك المحقق المتفنن، الشيخ أبي العبّاس أحمد بن مبارك بعض مجالس في التفسير، وفي قراءة الشيخ خليل، وجمع الجوامع لابن السبكي. وقرأت عليه مقدمة أطراف المقدسي، وغير ذلك. ولما جمعت شرحي على إحياء الميت أَوْقَفْته عليه، فاستحسنه ودعا لي بخير، وكتب على ظهره بخط يده، فجزاه الله عني خيرا...»[٧٢].

له تآليف نافعة في الحديث والفقه[٧٣].

---

(٦٨) قال في الروضة المقصودة ص٢٩٤: «ومعتمده بفاس الشيخ الإمام، الحافظ المتبحر، بلديُّه ابو العبّاس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي الصديقي».

(٦٩) راجع: التقاط الدرر ص٤٤٤، الحياة الأدبية ص٢٨٢-٢٨٤.

(٧٠) ترجمته في: نشر المثاني ١٩٣/٤، السلوة ١٤١/١، فهرس الفهارس ٨١٨/٢، اليواقيت الثمينة ص٧٣.

(٧١) انظر: نشر المثاني ١٩٤/٤، فهرس الفهارس ٨١٩/٢.

(٧٢) فهرسة العراقي ص١٨٩-١٩٠ (قدمها خالد التواج لنيل ماجستير بكلية الآداب بالرباط عام ١٩٩٤) نقلا عن: تحرير مسألة القبول ص٦٧.

(٧٣) راجعها في الحياة الأدبية ص٢٩٦-٢٩٧.

٤ - أبو عبدالله محمَّد بن الطيب الحسني القادري (ت١١٨٧هـ)[٧٤]

العلامة المؤرخ، النسابة الواعية. تحدث عن شيخه السجلماسي في كتابه «نشر المثاني» قائلاً: «وأخذ عنه جماعة من طلبة فاس. وقرأت عليه معهم صغرى السنوسي وشرحها لمصنفها، وشرح المحلي على جمع الجوامع شرحا ومتنا، وشفا عياض، وطرفا من السُّلم. وحضرت مواضع من التفسير والبخاري»[٧٥].

من آثاره: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، والتقاط الدرر في أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، وهما مطبوعان. والإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج، وغيرها[٧٦].

٥ - أبو حفص عمر بن عبدالله الفهري الفاسي (ت١١٨٨هـ)[٧٧]

إمام نظار، وفقيه مكثار. أخذ عن والده، وقرأ علوم الجدل، والأصلين، والبلاغة، والمنطق، وتفسير القرآن العظيم، على الشيخ أحمد بن مبارك اللمطي.

ومن آثاره - كما يقول الحجوي -[٧٨] «شرح على التحفة، مهم عديم النظير، دل على باعه وسعة اطلاعه. وشرح على الزقاقية. وفتاوى مهمة للعويصات المدلهمة. وله درجة عالية في الأدب، ومشاركة نادرة. وهو ممن وصف بالاجتهاد».

٦ - أبو محمَّد عبدالقادر بن العربي بوخريص الفيلالي ثم الفاسي (ت١١٨٨هـ)[٧٩]

المحدث الفقيه المشارك. أخذ العلم عن جماعة، وكان عمدته الذي أفنى عمره في خدمته أبو العبّاس السجلماسي. أسند إليه القضاء عام ١١٣٥هـ فسار فيه بالعفة والنزاهة، حَتَّى لقب آخر القضاة من أهل العلم[٨٠].

---

(٧٤) ترجمته في: الشجرة ٣٥٢/١، النبوغ ٣٠٣/١، مؤرخو الشرفا ص٢٢٧، الحياة الأدبية ص٣٠٤.

(٧٥) النشر ٤٢/٤.

(٧٦) راجع تراثه في: مؤرخو الشرفا ص٢٢٨-٢٣١، الحياة الأدبية ص٣٠٤-٣٠٥.

(٧٧) ترجمته في السلوة ٣٣٧/١، الشجرة ٣٥٦/١، الفكر السامي ٢٩١/٢.

(٧٨) في الفكر السامي ٢٩٢/٢.

(٧٩) ترجمته في: السلوة ٤٢/٢، الشجرة ٣٥٦/١.

(٨٠) السلوة ١٢/٢-١٣.

٧ - أبو العبّاس محمَّد بن الحسن البناني (ت١١٩٤هـ)[٨١]

العلامة المحقق، المفيد المدقق. أخذ عن أعلام كبار؛ منهم العلامة السجلماسي، الذي استفاد منه، واختصر رسالته «رد التشديد في مسألة التقليد». حج وزار، وأفاد واستفاد. له تآليف محررة مفيدة؛ منها: حاشية على شرح الشيخ عبدالباقي الزرقاني على المختصر متقنة، وشرح على السُّلم، وحواش على التحفة.

٨ - أبو عبدالله محمَّد التاودي بن محمَّد الطالب بن سودة المري (ت١٢٠٩هـ)[٨٢]

الفقيه المحقق المشارك. انتهت إليه رياسة العلم بالمغرب في عصره، وانفرد بعلو الإسناد حَتَّى صار شيخ الشيوخ. تلقى العلم عن ثلة من المشايخ، جمعهم في «فهرسته»، منهم العلامة السجلماسي الذي كان عمدته في رواية الحديث، قال مبينا ذلك: «قرأت عليه المنطق والكلام والبيان والأصول والتفسير والحديث. ولازمته مدة مديدة، وأفردته بالأخذ عنه سنين عديدة. وأكثر الكتب كالسعد، والمحلي، والمواقف، وغيرها، كنتُ القارئ عليه بلفظي. وأجازني، وأذن لي في قراءة البخاري، فأقرأته في حياته وبمرأى منه ومسمع. وكان رضي اللّه عنه يرضى عني، ويودني، ويؤثرني، ويقدمني»[٨٣].

له تآليف مفيدة؛ منها:

- حاشية على صحيح البخاريّ تسمى: زاد المجد الساري لمطالع البخاري.
- جامع الأمهات من أحاديث العبادات والصلوات.
- شرح الأربعين النووية، وغيرها [٨٤]. قال العلامة الحجوي: «الكل مطبوع بفاس إلاّ الرحلة، وحاشية الزرقاني».

٩ - أبو عبداللّه محمَّد بن عبد السلام بن محمَّد الفاسي (ت١٢١٤هـ)[٨٥]

خاتمة المحققين لتوجيه القراءات بالمغرب. قرأ علوم البلاغة والمنطق والجدل على الشيخ ابن المبارك. له مؤلفات جليلة في علم القراءات[٨٦]؛ منها:

(٨١) ترجمته في: السلوة ١/١٦١، الشجرة ١/٣٥٧، الفكر السامي ٢/٢٩٢.

(٨٢) ترجمته في: السلوة ١/١١٢، الشجرة ١/٣٧٢، الفكر السامي ٢/٢٩٤، فهرس الفهارس ١/٢٥٦، النبوغ المغربي ١/٣٠٢.

(٨٣) فهرسة التاودي ورقة ٩٠-٩١. نقلا عن تحرير مسألة القبول ص٧٠.

(٨٤) انظر: الحياة الأدبية ص٣٢٤-٣٢٥، تحرير مسألة القبول ص٧٠.

(٨٥) ترجمته في السلوة ٢/١٤٦، الشجرة ١/٣٧٤، فهرس الفهارس ٢/٨٤٨.م

(٨٦) انظر: مؤرخو الشرفا ص٣٣٥، الحياة الأدبية ص٣٤١-٣٤٣، تحرير مسألة القبول ص٧١.

- شرح دالية ابن المبارك الوراق في وقف حمزة وهشام، وفي الهمز.
- حاشية على شرح الجعبري على حرز الأماني.

قال الكتاني: «وغير ذلك من التآليف إلى ما لا يحصى من الفتاوى والمقايدات والإفادات والإنشادات»[٨٧].

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

تبوأ الحافظ السجلماسي منزلة علمية كبيرة، أهَّلته لأن تسلَّم له رئاسة العلم بحاضرة فاس في زمنه[٨٨]. وتأثَّل من المكانة والشهرة ما جعل الأنظار تلحظه بكثير من الإجلال والإعظام. فكانت مجالسه من أعظم المجالس العلمية بفاس، يحضرها الجم الغفير من خيرة الطلبة وعلية الفقهاء، ويقصده النَّاس من جميع الجهات بالسؤال والاستفتاء.

فقيه مبرز، وعالم متضلع، له اليد الطولى في العلوم الشرعية والآلية، والمشاركة المتميزة في العلوم العقلية والكونية. ساهم في تجديد رسوم الفقه، والتوجيه به نحو التخلص من آراء الفقهاء المجردة، وأقوال الخلافيين غير المسندة. وما ذلك إلاّ لتمكنه من العلم الأصيل، واطلاعه على آثار المتقدمين، مع حُسن النظر في الكتاب والسنة.

تمذهب بمذهب مالك، إلاّ أن ذلك لم يمنعه من كونه مالكيا متحررا، وباحثا منصفا. ناقش كبار المالكية والشافعية والحنفية دون تعصب. وردَّ عليهم في أدب جم، وتواضع رفيع.

علامة متقن، وإمام حجة. انتهت إليه الرئاسة في جميع العلوم من عربية وبيان، ومنطق وكلام، وفلسفة وحساب، وفقه وأصول، وتصوف وحديث، وتفسير وقراءات. واستكمل أدوات الاجتهاد على الخصوص والعموم.

أحرز قصب السبق في المعقول والمنقول، وانفرد بالمهارة في التدريس والتحقيق، والجِدة في التحرير والتدقيق. له القدرة الفائقة في مجال الاستنباط، «والمَلَكة القارة في قوة الاقتدار على استخراج جواهر العويص من عباب الأفكار. تقدم حَتَّى لم يكن له مواز في الدنيا منذ أزمان؛ في سرعة الحفظ، وجودة الضبط والإتقان، كأنه بحر زخار متلاطم الأمواج، وشمس أغنت بإشراقها الصبح عن الإبلاج....

---

(٨٧) سلوة الأنفاس ١٤٨/٢.

(٨٨) نشر المثاني ٤٢/٤، السلوة ٢٠٣/٢.

وكانت له عارضة في التدريس لم تكن لغيره حفظا وبحثا ومعارضة واستنباطا. ينفرد بآراء من أنظاره واضحة الدلالات على سنن أهل الاجتهاد، مصرحا لنفسه به في عموم مجالسه، ولا يبالي بمن يخالفه فيما ينفرد به من متقدمين أو متأخرين»[٨٩].

أصولي متمكن، ونظار متبحر، غلب عليه علم الأصول حَتَّى صار تخصصه الأوّل بالأصالة، وجاءت سائر الفنون في تكوينه تبعا له.

عمَّ الفنون بالإدراك والتحقيق، وشارك فيها بالتحرير والتدقيق، وسائل ومقاصد. كانت له أقوال وأبحاث، واعتراضات واستدراكات، وأجوبة وتعليقات، تدل على أنّه لم يكن من أهل التقليد، المكتفين بنقل أقوال الغير وترديدها. بل هو راسخ القدم، مكين الاطلاع، له رأي وتصرف فيما يقدم. فلا تجده يتباحث إلاّ مع الأصوليين الكبار، المؤسسين لأركان هذا العلم وقواعده؛ أمثال: الباقلاني، والباجي، والجويني، والغزالي، والرازي، والآمدي، والأبياري، والقرافي، والشاطبي. يتناول فهوم هؤلاء بالنقد والتقويم، ويسوق كلامهم مساق تفحص وتدبر وتمحيص. يحدوه في كل ذلك حرص شديد على إظهار المحاسن والعيوب.

أُعجب كثيرا بالأصولي المالكي الكبير، شارح البرهان، الإمام الأبياري، واستشهد بكلامه في أكثر من مسألة أصولية خاض فيها. بل بالغ في الإشادة به وبأبحاثه حَتَّى كاد يقدمه على أقطاب الفن. قال مُنَوِّهاً به: «والإمام الأبياري من أكابر فحول الأصوليين. وهو من حيث الرفعة في طبقة القاضي الباقلاني، وإمام الحرمين، والغزالي. ولا يتباحث إلاّ مع هؤلاء الثلاثة»[٩٠].

ومما يلفت النظر في تراث السجلماسي عموما، وفي أبحاثه الأصولية خصوصاً، أمران:

أحدهما: إعداده الجيد للقضايا الأصولية التي يبحثها، ومراجعته العديد من المصادر والمراجع قبل إبداء الرأي فيها، واستشعاره المسؤولية العلمية التي طوقها. ففي جوابه عن سؤالٍ وجه إليه يتعلق بتحرير الوصف النفسي على طريقة المتكلمين: قال: «وقد رأيتُ المسألة - أي تحرير الوصف النفسي - في نحو من أربعين مؤلفاً ما

(٨٩) الروضة المقصودة ص٢٩١-٢٩٢ (بتصرف يسير).

(٩٠) أسئلة وأجوبة من كتاب ابن عرفة في مختصره ورقة ٧. نقلا عن تحرير مسألة القبول ص١٠٩.

بين مطول ومختصر، وأصولي وكلامي»[٩١]. وفي بحثه في مُنْكِرِ حجية الإجماع هل يكفر أو لا يكفر؟ قال في كتابه «إزالة اللبس عن المسائل الخمس»: «إن هذه المسألة ينبغي الاعتناء بها، وبسط القول فيها إلى غاية ما يمكن. وقد راجعتُ فيها نحوا من خمسين مؤلفا من المطولات»[٩٢].

الثاني: الجدة والابتكار فيما يطرق من موضوعات. ويتجلى ذلك في كونه لم يحذ حذو المتقدمين في هذا العلم يَطْرُق الأبواب الأصولية كلها. بل لتمكنه من هذا العلم، وتبحره في قضاياه جملة وتفصيلا، لجأ إلى طريقة أخرى أكثر عمقا، وأجدى نفعا؛ وهي اختيار جزئيةٍ أصوليةٍ معينةٍ لم يستوف المتقدمون البحث والنظر فيها، فيتناولها بتعميق البحث، وتدقيق النظر، وإجالة الفكر، وتحرير القول، والخروج برأي مدعم بالأدلة والحجج والبراهين؛ وذلك كبحثه في التقليد، وبحثه في دلالة العام، وبحثه في قبول الأعمال، وبحثه في منكر الإجماع وحجيته.

ناهيك عما يتسم به تناوله لهذه القضايا من عمق في التحليل، وطول نفس في النقاش، وكشف لما يكتنف بعضها من لبس وإبهام، ثُمَّ إبداء ما يظهر له فيها من رأي أصيل، أو إدراك سليم، أو فهم محرر، أو نقد بنَّاء.

وعلى الجملة، فالرجل نسيج وحده في أصالة النظر، وجودة القريحة، وتسديد الفهم. يملك عارضةً قويةً في المقابلة بين أقوال العلماء، والتباحث معهم، وإجابتهم بمقتضى الصناعات والآلات، حَتَّى قال تلميذه القادري في النشر[٩٣]: «ولا يبالي بمن يخالفه كبيراً أو صغيراً، تقدمه أو تأخر عنه. ويصرح لنفسه بالاجتهاد المطلق. ويرد على الأكابر من المتقدمين والمتأخرين. ويصرح بأنهم لو أدركوه لا نتفعوا به».

وقال في التقاط الدرر[٩٤]: «وكاد أن لا يحصل منه إذعان لواحد من كبراء المتقدمين وبأحرى المتأخرين».

عرف له المتقدمون هذه المزايا، فأثنوا عليه ثناء عطراً، وخَصُّوه بأوصاف تنبئ عن عظيم فضله، وعلو كعبه، واتساع أفقه. وهي شهادات ملؤها العرفان والتقدير والإجلال. وهذه بعض من هذه الشهادات في الثناء عليه، وبيان منزلته:

---

(٩١) تحرير الوصف النفسي ورقة ٣٠٤. (خ ع: ١٠٩٢ك).

(٩٢) إزالة اللبس ورقة ٤٣.

(٩٣) ٤١/٤. وانظر: الروضة المقصودة ص٢٩٢، السلوة ٢٠٣/٢.

(٩٤) ص ٢٩٣.

قال تلميذه المكودي: «شيخنا وقدوتنا، العلامة البحر الفهامة، وحيد دهره، وفريد عصره، معيار العلوم في كل منطوق ومفهوم، سيدنا أبو العبّاس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي»(٩٥).

ونعته القادري أيضاً بـ: «علامة الزمان، فريد العصر والأوان، فارس التدريس والتحقيق، وحامل راية التحرير والتدقيق»(٩٦).

وقال محمَّد بن أبي شعيب الشاوي منوها بأخلاقه وعلمه: «الشّيخ العلامة الحبر الفهامة، ذو الأخلاق الحميدة والآراء السديدة، عالِم الأدباء، وأديب العلماء، المتيقن في المعقول والمنقول، الجامع للفروع والقراءة والأصول»(٩٧).

وحلاه العلامة الحضيكي بـ «علامة وقته، وحافظ عصره» (٩٨).

وقال في حقه تلميذه الشّيخ التاودي بنسودة: «شيخنا الأسمى، وذخيرتنا العظمى، العلامة الحافظ، المحرر المدقق، نجم الأمة، وتاج الأئمة»(٩٩).

وأشاد الزبادي بعلمه قائلا: «... الشّيخ الفقيه العالِم العلامة، المشارك المدرس الفهامة، ينبوع العلم وبحره، كان رحمه اللّه عالما عاملا، بحرا في العلم لا ساحل له»(١٠٠).

ونوه أبو الربيع الحوات بمجالسه العلمية، فقال: «وتساقط النَّاس على صاحب الترجمة - أي السجلماسي - للانتفاع به من كل قطر من أقطار البسيطة ذات الطول والعرض، حتى كان مجلسه يقول: امتلأ الحوض، وتخرج به من أشياخنا من كانوا قرة العيون، في تحقيق جميع الفنون»(١٠١).

وخصه الكتاني بنعوت العلم والعرفان، فقال: «العالم العلامة، الجهبذ الفهامة، المجتهد القدوة المحرر، نجم الأمة، وتاج الأئمة، شيخ الشيوخ، ومن له في العلم القدم الثابتة الرسوخ؛ أبو العبّاس أحمد بن مبارك...»(١٠٢).

والثناء عليه كثير منتشر.

---

(٩٥) صرف المشيئة ورقة ١٣٦ ظ، نقلا عن تحرير مسألة القبول ص٥٠.

(٩٦) نشر المثاني ٤/٤٠-٤١.

(٩٧) مقدمة المقالة الوافي في شرح الدالية ورقة ١.

(٩٨) مناقب الحضيكي ١/١١٢.

(٩٩) فهرسة التاودي بنسودة ورقة ٩٠.

(١٠٠) سلوك الطريق الوارية ورقة ٤٧.

(١٠١) الروضة المقصودة ص٢٩٢-٢٩٣.

(١٠٢) السلوة ١/٢٠٣.

مؤلفاته

خلف العلامة السجلماسي تراثاً علمياً زاخراً متنوعاً، تتجلى قيمته العلمية في كونه يعكس ثقافة عصر المؤلف، ويسجل إلى حد كبير القضايا الفكرية التي يعج بها ذلك العصر، والمسائل التي أُثير فيها الخلاف بين أهل العلم، سواء في الحواضر العلمية مثل فاس، وسجلماسة، أو في غيرها من أرجاء البلاد.

ويمثل بدرجةٍ كبيرةٍ أيضاً معايشة المؤلف لقضايا عصره، ومشاركته وخوضه في هذه القضايا، وإسهامه في حلّ كثيرٍ منها. فلم يكن ممن اعتزل الحياة، أو غاب عن واقعها، بل كان يباشر هذا الواقع، ويشارك في علاج مشكلاته، وصياغة حلول قضاياه. ولذلك جاءت معظم تصانيفه عبارة عن مشكلات فكرية أو علمية أثيرت في عصره، أو فتاوى وأجوبة أجاب بها من سأله، كما سيتضح في عرضها قريبا.

ويلحظ القارئ كذلك في تراث السجلماسي جانبا إيجابيا مشرقا، وهو كون هذا التراث يجمع بين موضوعات غير مطروقة، أو موضوعات مطروقة، لكنَّ مَن تقدمه ممن بحثها لم يضع نقطة النهاية فيها، بل أبقى لمن جاء بعده مجالا لتعميق البحث، وإجَالة النظر، وتجديد الفهم... فجاءت رسائله ومؤلفاته جامعة بين المهارة في العرض، والابتكار في الأسلوب، والإفصاح عن الجديد، وبين استكمال جوانب النقص، وتعميق البحث، وتسديد النظر في موضوعات مطروقة.

وقد مكنني الله تعالى من الوقوف على معظم هذا التراث في مظانه، وإدامة النظر فيه، والانتفاع به. وها أنا أورد منه ما تيسر الآن[١٠٣] بإيجاز على النحو الآتي:

١ - الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز الدباغ. (مطبوع).

٢ - تقييد على شرح متن السُّلم للأخضري. (مطبوع).

٣ - طرر على شرح الشّيخ سعيد قدورة على متن السلم للأخضري (مطبوع)[١٠٤].

٤ - رسالة تحرير مسألة القبول على ما تقتضيه قواعد الأصول والمعقول (مطبوع).

٥ - رد التشديد في مسألة التقليد، وهي الرسالة التي أقدمها الآن محققة.

(١٠٣) هناك رسائل وتقاييد لم أتمكن من الوقوف عليها، واعتمدت في عرضها على عمل الباحث الحبيب عيادي في تحقيقه لكتاب «تحرير مسألة القبول» ص٧٢-٩٨، وكذلك صنيع الباحث الأخضر على محدوديته في رسالته «الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية» ص٢٣٨.

(١٠٤) طبعت بالمطبعة الكبرى الأميرية بولاق بمصر عام ١٣١٨هـ على نفقة الحاج الطيب التازي المغربي.

٦ - إنارة الأفهام بسماع ما قيل في دلالة العام[١٠٥].

تناول فيه السجلماسي دلالة العام، مبينا أنها تدل بالتضمن دون المطابقة والالتزام، مناقشا الإمام القرافي، رادًّا عليه، وذلك في فصول أربعة كلها تحرير وتحليل ونقاش.

٧ - الأجوبة السبكية[١٠٦].

وهي إشكالات وجهت إلى المؤلف تتعلق بالسبكي في «جمع الجوامع» وشرح المحلي له.

٨ - المقالة الوافية في شرح القصيدة الدالية[١٠٧].

والقصيدة الدالية من نظم الفقيه أبي عبدالله محمَّد بن مبارك السجلماسي المغراوي الفاسي (ت١٠٩٢هـ). وضعها في تحقيق الهمز لحمزة وهشام.

شرح السجلماسي هذه القصيدة ولم يكملها، بل وقف عند البيت السابع، ولو أتمها لكانت فائدتها أعظم، وتقدمه فيها أميز، كما أشار إلى ذلك صاحب تنبيه السالك.

٩ - القول المعتبر في بيان أن جملة الحمد إنشاء لا خبر[١٠٨].

ميز فيه المولف بين الإنشاء والخبر، وقرر بالأدلة أن جملة الحمد إنشائية لا خبرية، وبث في ثناياه فوائد علمية غزيرة.

١٠ - كشف القناع عما ادعي في مسألة المعية من الإجماع[١٠٩].

بناه المولف على سؤال وجه إليه عن المعية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾: هل هي معية بالذات مع التنزيه، أم هي معية بالعلم دون الذات؟ فصحح معية الذات، وردَّ معية العلم، مع سوق الحجج والبراهين الدالة على ما ذهب إليه.

١١ - سؤال يتعلق بتحرير الوصف النفسي على طريقة المتكلمين[١١٠].

أجاب عنه فقيه فاس ومفتيها سيدي العربي بن أحمد بردلة، وأجاب عنه السجلماسي مبينا قصد المتكلمين بالوصف النفسي بنفس منطقي كلامي متين.

---

(١٠٥) تحتفظ الخزائن المغربية بنسخ خطية منه.

(١٠٦) توجد نسخ منه بالخزائن المغربية.

(١٠٧) توجد نسخ منه بالخزائن المغربية.

(١٠٨) احتفظت الخزانة العامة بالرباط بنسخة منه.

(١٠٩) في الخزانة العامة بالرباط نسخة منه.

(١١٠) في الخزانة العامة بالرباط نسخ منه.

١٢ - إزالة اللبس عن المسائل الخمس[١١١].

وهو كتاب جامع لأجوبة خمس[١١٢]: ثلاثة منها في علم الكلام، واثنتان في الفقه، وهي:

الأولى: في معنى المعية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

الثانية: في العقول؛ هل هي متقاربة أو متفاوتة؟

الثالثة: في قول بعضهم: إن أهل النار يتلذذون بعذابها، ويستحيل طبعهم إلى طبعها حَتَّى يتأذوا بنسيم أهل الجنة إذا هب عليهم....

الرابعة: في تلقين الشهادة: هل المراد الإقرار بالألوهية، أو مع الرسالة؟....

الخامسة: تتعلق بالإجماع في قول الزرقاني لدى قول المختصر: والجاهل كافر إجماعا.

١٣ - رسالة في بيان انتفاء الثواب لقارئ القرآن على كل حرف حرف منه[١١٣].

بنى المؤلف هذه الرسالة على سؤال وجه إليه فيما وُجد منسوبا للحافظ أبي عمرو الداني من أن الثواب الذي في أحاديث فضائل القرآن هل يترتب على الحروف الملفوظة، أو المكتوبة، أو هما معا؟ مبيِّنا وجوب اعتبار اللفظ دون الخط في تلك الأحاديث.

١٤ - تقييد في إجابته عن مسائل فقهية كثيرة. (مخطوط خ. ع.).

---

(١١١) موجود في خزائن المغرب.

(١١٢) أخطأ محقق رسالة «تحرير مسألة القبول» في الكتاب ورقمه، فاعتبر الكتاب في تفسير الآية: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، وأثبت له رقم ١٠٥٢ بالخزانة الحسنية. والصواب أن المراد هو كتاب «إزالة اللبس» الذي ذكره في صفحة ٩١، ورقم تسجيله بالخزانة الحسنية ١٥٢، وتشكل مسألة المعية في آية الحديد العمود الفقري له، ونالت من عناية المؤلف النصيب الأوفر حَتَّى غلبت على اسم الكتاب، وصار يعرف بتأليف في مسألة المعية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾. أو لعل المؤلف أفرد هذه المسألة بالتأليف في بداية الأمر، ثُمَّ ما لبث أن جمع معها المسائل الأربع الأخرى في مؤلف واحد. ويؤيد هذا الاحتمال ما قرره القادري في النشر من اختلاف معاصريه حول هذا الكتاب ما بين مستحسن ومشنِّع، حَتَّى انتصب الإمام الكبير السرغيني للرد عليه، ثُمَّ إن السجلماسي نفسه شغلته هذه المسألة زمنا، وتناولها بأكثر من تأليف؛ كما في «كشف القناع»، و«إزالة اللبس» هذا.

إذا عُلم هذا يزول إشكال البحث عن الكتاب مستقبلا، وعدم العثور عليه.

(١١٣) في الخزائن المغربية نسخ منه.

١٥ - رسالة في أجوبة على مسائل أربع متعلقة بعلم الكلام. (مخطوط خ. ع.).

وهي:

الأولى: في مباحث صفة الإرادة لله سبحانه.

الثانية: في مباحث العلم للّه سبحانه.

الثالثة: في مباحث الكلام للّه سبحانه.

الرابعة: في عدم اتصاف الأزلي سبحانه بالحوادث.

١٦ - رسالة تكرار سورة الإخلاص عند الختام. (مخطوط خ. ع و خ. ح.).

أجاب فيها عن تكرار سورة الإخلاص عند ختم القرآن، هل هو ثابت في السنة أم لا؟

١٧ - رسالة في تحقيق قول الشّيخ خليل: (وخصصت نية الحالف). (مخطوط خ. ع.).

بيّن فيها السجلماسي من أين سرى الوهم للقرافي في كتابه «الفروق» في الفرق التاسع والعشرين بين قاعدة النية المخصصة، وقاعدة النية المؤكدة. وهي في مجموع يحتوي على ردود بعض معاصري السجلماسي على القرافي في المسألة نفسها؛ كالشيخ التاودي بن سودة، والشيخ أبي علي اليوسي، ومحمَّد بن الحسن بناني، ومحمَّد بن قاسم جسوس، والشيخ ميارة.

١٨ - أربعون حديثا في فضل قضاء حاجة المسلم. (مخطوط خ. ع.).

ضمه أربعين حديثا في فضل قضاء حاجة المسلم، وقبول عذره، والذب عن عرضه، وبعض أحكام الولاة وما يلزمهم من اللّه عز وجل.

١٩ - أسئلة وأجوبة عما استشكله أبو محمَّد عبداللّه الشنقيطي في مختصر ابن عرفة الفقهي. (مخطوط خ. ح.).

٢٠ - مسألة مفيدة في الوضع وأقسامه. (مخطوط خ. ع.).

٢١ - رسالة في همزة الوصل وأحكامها، والألف التي تزاد في الخط نحو: قالوا... (مخطوط خ. ح.).

٢٢ - أسئلة تتعلق بالطعن في النسب الشريف. (مخطوط خ. ح.).

٢٣ - رسالة في تحقيق دلالة المعجزة. (مخطوط خ. ح.).

أجاب فيها سائلا عن دلالة المعجزة؛ هل الراجح فيها أنها عادية أو عقلية، وكيفية دلالتها وأدلة ذلك.

٢٤ - صرف المشيئة. (مخطوط خ. ح.).

وهي رسالة صغيرة رد فيها على أبي الوليد بن رشد في تخريجه قول ابن القاسم في: أنتِ طالق إن دخلت الدار إن شاء الله على قول القدرية(١١٤).

٢٥ - تقييد في تعريف الأصول. (مخطوط خ. ح.).

٢٦ - جواب عن سؤال من حل الطاعون ببلدهم، هل يجوز لهم الخروج منه فرارا أم لا؟ (مخطوط خ. ح.).

٢٨ - مسألة النفقة على العالم على من تكون؟ (مخطوط خ. ح.).

وهي رسالة مفيدة للغاية وإن صغر حجمها.

٢٧ - فهرسة إجازته لأبي العبّاس أحمد بن الحسن المكودي. (مخطوط خ. ح.).

وتتضمن بعضا من شيوخه ومؤلفاته. وفيها من التقاييد والرسائل ما لم أقف عليه في غيرها؛ مثل: رسالة في الفرق بين الموازنة عند علماء الحديث والموازنة عند المعتزلة. ورسالة في تعلق الصفات وبيان ما هو نفسي منها وما لا(١١٥).

وله رسالة في تحقيق تعلق القدرة. ورسالة في الرد على ابن عربي صاحب الفصوص(١١٦). ورسالة تتعلق بكلام القرافي فيما حكاه عن ابن جميع في التحدث عن الأجنة في القواعد والفروق(١١٧). ورسالة في تحقيق المسألة المنسوبة لأبي حامد؛ وهي قوله: «ليس في الإمكان أبدع مما كان»(١١٨).

وفاته

اضطربت مظان ترجمة السجلماسي في تاريخ وفاته اضطرابا يلفت النظر؛ فتلميذه التاودي بنسودة (ت١٢٠٩هـ) الذي سجل في فهرسته أنه توفي رحمه الله ليلة الجمعة

---

(١١٤) قال عنها في فهرسته (ورقة ١١-١٢): «وأتيت فيها بما ظهر معه الحق ظهور الشمس لذي عينين، وقد خفي ذلك على الغزالي والقلشاني وابن عرفة وأبي الحسن والمازري وغيرهم من المتأخرين،ولما وقف على ذلك شيخنا في الفقه شيخ الإسلام سيدي الحسن بن رحال المعداني رحمه الله، قال لي رضي الله عنه: هذا رافع للنزاع، وقاطع لجميع عروق الشبهة في المسألة».

(١١٥) قال عنها في الفهرست (ورقة ١١): وهي أوّل ما ألفته على الإطلاق.

(١١٦) قال عنها في الفهرست (ورقة ١٢): وقد أتيت فيها بما يشفي ولله الحمد، وبينت أنه لا يصح إيمان فرعون من كل وجه.

(١١٧) قال عنها في الفهرست (ورقة ١٢): زيفت فيها كلام القرافي، وأبطلت فيها كلام ابن جميع، وذكرت فيها من كلام حفاظ الحديث وحذاق الأطباء ما ظهر به الحق وبان، ولله الحمد.

(١١٨) قال عنها في الفهرست (ورقة ١٣): وبينا من أين جاءهم - أي الذين انتصروا فيها لأبي حامد - الغلط، وأوضحنا الحق فيها إلى الغاية، وكتبنا فيها نحوا من ثلاثين ورقة.

تاسع عشر جمادى الأولى من عام خمس وخمسين ومائة وألف بالطاعون، وأنه هو الذي ألحده في قبره[119]، نجده يخالف ما سطره هنا في آخر «الفهرسة» لما تكلم على الشيخ محمَّد بن عبدالعزيز الصنهاجي، وقرر أنَّه توفي في ٢٨ صفر عام ١١٥٤هـ، ثُمَّ قال: «إن ابن المبارك توفي بعده بخمسة عشر يوما». فاقتضى ذلك أن يكون قد توفي عام أربعة وخمسين ومائة وألف، وهو تاريخ لم يذكره غيره.

وكذلك تلميذه القادري، لم يسلم أيضاً من الاضطراب في تعيين تاريخ يوم وفاته، فذكر في النشر[120] أنه توفي يوم الجمعة ١٨ جمادى الأولى عام ١١٥٦هـ، بينما سجل في التقاط الدرر أنه توفي ثاني عشر جمادى الأولى عام ١١٥٦هـ.

على أن الاختلاف في تحديد اليوم عند القادري أمر هين، ما دامت سنة الوفاة موحدة؛ وهي (١١٥٦هـ). والاطلاع على نسخ النشر والالتقاط معا يبرر هذا الاختلاف. إذ في نسخ أخرى للنشر تحديد يوم ١٢ جمادى الأولى، كما أن النسخ الأخرى للالتقاط حددت يوم ١٨ جمادى الأولى تاريخا للوفاة[121].

ووقع من جاء بعد هؤلاء من المترجمين له ضحية هذا الاختلاف، فترى من يحدد سنة الوفاة بعام ١١٥٥هـ[122]، ومن يحددها بعام ١١٥٦هـ[123].

ولعل ما يمكن الاطمئنان إليه مما قيل: ما عند تلميذه القادري في النشر؛ وهو يوم ١٨ جمادى الأولى عام ١١٥٦هـ[124]. أما تلميذه التاودي فقد اضطراب كلامه كما تقدم، ولم يستقر على رأي، بل حَتَّى ادعاؤه أنَّه هو الذي ألحده في قبره يتنافى مع ما قرره القادري من أن إمام القرويين وخطيبها أبا مدين بن أحمد الفاسي هو الذي صلى عليه، وأنه حضر الجنازة وما رافقها من الجم الغفير من أهل فاس العليا والسفلى، فلو كان الشيخ التاودي هو الذي ألحده قطعاً لَذَكَرَهُ. والله أعلم.

---

(١١٩) فهرسة التاودي بنسودة ورقة ٩١، السلوة ٢/٢٠٤.

(١٢٠) ٤/٤٢.

(١٢١) ولعل هذا هو الذي حدا بمحقق التقاط الدرر (ص٢٩٣) إلى إثبات يوم ١٢ جمادى الأولى في المتن، مع وجود ما يخالفه في النسخ الأخرى.

(١٢٢) كما في الفكر السامي ٢/٢٨٩، شجرة النور ١/٣٥٢، جامع القرويين ٣/٨٠١.

(١٢٣) كما في مؤرخو الشرفا ص٢٢٠، الأعلام ١/٢٠٠، معجم المولفين ٢/٥٦.

(١٢٤) وهو ما استصوبه أيضا الأخضر في الحياة الأدبية ص٢٢٧، ومحقق التقاط الدرر ص٢٩٣ هامش رقم ٢، ومحقق تحرير مسألة القبول ص٥٥.

الفصل الثاني: دراسة الرسالة

يلقي هذا الفصل بعض الضوء على هذه الرسالة؛ فيميط اللثام عن موضوعها، ومصادرها، ومزاياها، ونسخها، وعنوانها، وصحة نسبتها إلى مؤلفها؛ وذلك في مباحث:

الأول: تحقيق عنوان الرسالة، وصحة نسبتها إلى مؤلفها

«رد التشديد في مسألة التقليد»، هذا هو العنوان الذي سمى به المؤلف رسالته في المقدمة المقتضبة التي قدم لها بها، ودرجت النسخ الخطية المنقولة عن نسخته على ذلك، وأثبته تلميذه أبو عبدالله محمّد بن الحسن البناني في نهاية اختصاره للرسالة. ولم أر غير هذا المسمى منسوبا إلى السجلماسي فيما وقفت عليه من مصادر ومراجع، بل أطبق الذين ترجموا له على ذكر هذه الرسالة منسوبة إليه، مما يقوي صحة النسبة إليه، ويدحض كل زعم يعكر صفو هذه النسبة، وهذه التسمية.

الثاني: موضوع الرسالة

- ١ -

ذهب جمهور المتكلمين إلى أن معرفة اللّه تعالى ليست فطرية ضرورية، وإنما هي كسبية يكتسبها الإنسان بعقله عن طريق النظر والاستدلال.

أصّل هذا الكلام للمعتزلة، وتبعتهم في ذلك الفرق الكلامية الأخرى: كالماتريدية والأشعرية.

ذكر القاضي عبدالجبار أن أوّل ما يجب على المكلف النظر إلى الجواهر والأعراض وإثبات حدوثهما لمعرفة حدوث العالم، ثُمَّ الاستدلال بذلك على وجود محدثه وصانعه، وادعى أن هذا هو أوّل العلم باللّه تعالى[١٢٥].

ويدّعي الزمخشري أن الأنبياء أنفسهم إنما عرفوا اللّه بالنظر في الأدلة التي نصبها لهم، ففسّر قول اللّه تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٢٦]، قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف جعل

---

(١٢٥) انظر: المحيط بالتكاليف للقاضي عبدالجبار ص٢٦، وشرح الأصول الخمسة له ص٧٠-٧٦.

(١٢٦) من الآية ٤٩ من آل عمران.

هذا القول آية من ربه؟ قلت: لأن الله تعالى جعل له علامة يعرف منها أنه رسول كسائر الرسل، حيث هداه للنظر في أدلة العقل والاستدلال...»[127]. وسار على هذا المنوال في تفسير بعض الآيات[128]، مدعيا أن الرسل إنما بعثوا إلى النَّاس إزاحة للعلة، وتتميما لإلزام الحجة الواجبة على النَّاس بعقولهم.

وتبع الماتريدية والأشاعرة المعتزلةَ في إيجاب النظر العقلي على المكلف، وقال به جمهورهم، فقد أوجب أبو منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ) النظر على المكلف، وادعى عدم قبول التقليد في العقائد إلاّ أن يكون مع المقلد حجة عقل يُعرف بها صدقه[129].

أما الأشاعرة، فقد انتقل إليهم إيجاب النظر على المكلف من مذهب المعتزلة مع أبي الحسن الأشعري[130]؛ ولهذا قال أبو جعفر السمناني: إن مسألة تكفير المقلد بقيت في مذهب أهل السنة من عقيدة المعتزلة، وأن الشيخ أبا الحسن الأشعري قد مرَّ في تفسير الإيمان على مذهب أبي الحسين الصالحي من المعتزلة، واختاره، كما نص على ذلك أبو بكر ابن فورك وغيره[131].

وعلى القول إن النظر في معرفة الله تعالى واجب إجماعا، سار الماتريدية والأشاعرة، إلاّ أن الأشاعرة يرون أن وجوبه تقرر بالشرع لا بالعقل كما يقول المعتزلة[132].

وللأشاعرة في تقرير هذا مسلكان:

أحدهما: الاستدلال بظواهر النصوص نحو قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[133] وقوله: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾[134]،

(١٢٧) الكشاف ٣٦٥/١.

(١٢٨) انظر: الكشاف عند تفسير الآية ١٦٤ من النساء ٥٩١/١، والآية ١٥ من الإسراء ٦٥٣/٢.

(١٢٩) انظر كتاب التوحيد للماتريدي ص٣-٤.

(١٣٠) ثبت رجوع أبي الحسن الأشعري عن مذهب المتكلمين إلى مذهب السلف. انظر: الإبانة في أصول الديانة ص٢٥ وما بعدها.

(١٣١) انظر: مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري لابن فورك ص١٥١، فتح الباري ٣٦١/١٣.

(١٣٢) انظر: الإرشاد للجويني ص٨، المواقف للإيجي ص٢٨. إشارات المرام للبياضي ص٢٥.

(١٣٣) من الآية ١٠١ من سورة يونس.

(١٣٤) من الآية ٤٩ من سورة الروم.

والأمـر للوجوب. ولمـا نـزل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[١٣٥]، قال عليه الصلاة والسلام: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»[١٣٦]، فهو واجب.

الثاني: وهو المعتمد، أن معرفة اللّه تعالى واجبة إجماعا، وهي لا تتم إلاّ بالنظر، وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب[١٣٧].

والذين قالوا: إن المعرفة لا تحصل إلاّ بالنظر؛ اختلفوا في أوّل واجب على المكلف:

فقال بعضهم: النظر الصّحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم. وهو مذهب جماعة منهم أبو الحسن الأشعري[١٣٨].

وقال بعضهم: القصد إلى النظر الصحيح؛ أي توجيه القلب إليه بقطع العلائق المنافية له كالحسد والكبر... وهو مذهب أبي إسحاق الإسفراييني وإمام الحرمين[١٣٩].

وقال الأكثر: أوّل واجب هو معرفة اللّه تعالى. ويعزى للشيخ أبي الحسن أيضا[١٤٠].

ويقابل هذه الأقوال من يرى أن أوّل واجب على المكلف: الشهادتان: شهادة أن لا إله إلاّ اللّه، وشهادة أن محمدا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وإفراده بالعبودية.

والحاصل أن الخلاف الواقع بين الأشاعرة حول أول واجب: هل هو المعرفة، أو النظر، أو القصد إلى النظر، خلاف لفظي؛ فإن النظر واجب وجوب الوسيلة، من باب ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب. والمعرفة واجبة وجوب المقاصد. فأول واجب وجوب الوسائل هو النظر. وأول واجب وجوب المقاصد هو المعرفة[١٤١].

---

(١٣٥) الآية ١٩٠ من آل عمران.

(١٣٦) روي مرفوعا إلى عائشة في تفسير القرطبي ٣١٠/٤، وتفسير ابن كثير ١٨١/٢، قال ابن كثير عقبه: وهكذا رواه ابن أبي حاتم، وابن حبان في صحيحه عن عمران بن موسى، وابن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار عن شجاع بن أشرس به.

(١٣٧) المواقف ص٢٨-٢٩. انظر: الإرشاد للجويني ص١١، والإنصاف للباقلاني ص٢٢، والتفسير الكبير للفخر الرازي ٨٩/٢-٩٦.

(١٣٨) المواقف ص٣٢، شرح السنوسية الكبرى ص١٩.

(١٣٩) الإرشاد ص٣، شرح السنوسية الكبرى ص١٩.

(١٤٠) الإرشاد ص٣، شرح السنوسية الكبرى ص١٩.

(١٤١) انظر: المواقف ص٣٢، درء تعارض العقل والنقل ٣٥٢/٣، شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص٢٨-٢٩.

والحق أن أول ما يجب على المكلف هو عبادة الله وحده لا شريك له عن طريق الوحي الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك من خلال النطق بالشهادتين المتضمنتين لتوحيد الله وإفراده بالعبودية. وبهذا نطقت نصوص الكتاب والسنة.

- ٢ -

إن ما ذهب إليه جمهور المتكلمين من إيجاب النظر والاستدلال بدليل الجواهر والأعراض الموصل إلى معرفة الله، وأن من لم يسلك هذا المذهب مقلد محكوم عليه بالكفر؛ مذهب مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول.

أما مخالفته لصحيح المنقول، فإنه لا يوجد نص في الكتاب ولا في السنة يؤيد ما قرروا؛ بل الثابت فيهما عكس ما ذهبوا إليه. فقد قرر الكتاب والسنة أن معرفة الله تعالى فطرية فطر الله الناس عليها، وجعلها من لوازم حياتهم... فقال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١٤٢).

وفي حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مولود إلاّ ويولد على الفطرة، فأَبَواهُ يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»(١٤٣).

فالرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى التوحيد، ويقبل إسلام من قال لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، وكان يرسل رسله إلى الناس بذلك: أرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، وأمره بقوله صلى الله عليه وسلم: «فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمدا رسول الله صلىالله عليه وسلم...»، وفي رواية: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلاّ الله»(١٤٤).

ولو كان النظر واجبا، واتباع الطرق والأقيسَة العقلية طريقا لمعرفة الله كما يدعي المتكلمون لأَمَرَ به صلى الله عليه وسلم، ودعا إليه. إذ من المحال الممتنع عقلا وشرعا أن يكون عليه السلام يغفل أن يبين للناس ما لا يصلح لأحد الإسلام إلاّ به، ثُمَّ تتفق جميع

(١٤٢) من الآية ٢٩ من سورة الروم.

(١٤٣) رواه البخاري في كتاب الجنائز - باب ما جاء في أولاد المشركين - حديث ١٣٨٥ (فتح الباري ٢٩٠/٣)، ومسلم في كتاب القدر - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة - حديث ٢٦٥٨، واللفظ له.

(١٤٤) رواه البخاري في كتاب المغازي - باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن - حديث ٤٣٤٧ (فتح الباري ٦٦١/٧-٦٦٢)، ومسلم في كتاب الإيمان - باب الدعاء إلى الشهادتين - حديث ٢٩.

أهل الإسلام على إغفال ذلك، أو تعمد عدم ذكره، وتَنبَّه له هؤلاء المتكلمون[١٤٥].

لذا، فإن مذهبهم في إيجاب النظر على المكلف، واعتباره شرطا للدخول في الإسلام؛ مذهب غير مستساغ، انتقده العلماء المحققون وناهضوه. بل حكى أبو بكر ابن المنذر الإجماع على أن بوابة الدخول في الإسلام هي النطق بالشهادتين؛ فقال: «أجمع كل من نحفظ عنه أن الكافر إذا قال: لا إله إلاّ اللّه وأن محمداً عبده ورسوله، ولم يزد على ذلك شيئا أنه مسلم»[١٤٦].

ونفى الإمام الخطابي (ت٣٨٨هـ) أن يكون عليه السلام قد دعا في أمر التوحيد إلى ما يزعمه المتكلمون، فقال: «قد علمنا يقينا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع في أمر التوحيد إلى الاستدلال بالأعراض والجواهر... ولا يمكن لأحد أن يروي في ذلك عنه ولا عن أحد من أصحابه، لا عن طريق التواتر ولا عن طريق الآحاد...»[١٤٧].

ولم يترك الصحابة هذا النمط من الكلام عجزا عنه، ولا انقطاعا دونه - يقول الإمام الخطابي[١٤٨] - وقد كانوا ذوي عقول وافرة، وأفهام ثاقبة، وإنما تركوه استغناء بما عندهم من علم الكتاب وحكمته،وتوقيف السُّنة وبيانها، فلما تأخر الزمان، وضعف الإلمام بحقائق علوم الكتاب والسنة، وكثر الملحدون والمشاغبون، حسب المتأخرون أنهم إن لم يواجهوا المتكلمين بمثل صناعتهم لم يقووا بهم، ولم يظهروا في الحجاج عليهم، فكان ذلك ضَلة من الرأي، وغبنا فيه، وخدعة من الشيطان.

واستنكر الإمام ابن حزم أن يكون الرسول عليه السلام قد دعا من آمن به إلى الاستدلال؛ فقال: «إن الرسول صلى الله عليه وسلم منذ بعث لم يزل يدعو الناس الجم الغفير إلى الإيمان بالله وبما أتى به... ويقبل ممن آمن به... ويحكم له بحكم الإسلام، ومنهم المرأة البدوية، والراعي... والجاهل، والضعيف في فهمه، فما منهم أحد ولا غيرهم قال له عليه السلام: إني لا أقبل إسلامك، ولا يصح لك دين حَتَّى تستدل على صحة ما أدعوك إليه... ثُمَّ جرى على هذه الطريقة جميع الصحابة رضي الله عنهم،

---

(١٤٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٧٦/٤.

(١٤٦) الإجماع لابن المنذر ص١٩٨.

(١٤٧) صون المنطق للسيوطي ص٩٦/٩٧.

(١٤٨) في رسالته: الغنية عن الكلام وأهله ١٣٩/١-١٤٠، بتصرف من درء تعارض العقل والنقل ٢٨٦/٦-٢٨٧.

أوَّلهم عن آخرهم، ولا يختلف أحد في هذا الأمر»[149].

وقرر الحافظ ابن عبدالبر أن من تأمل إسلام المسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله «علم أن الله عز وجل لم يعرفه واحد منهم إلاّ بتصديق النبيئين بأعلام النبوة ودلائل الرسالة، لا من قِبل حركة، ولا من باب الكل والبعض، ولا من باب كان ويكون. ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجبا، وفي الجسم ونفيه، والتشبيه ونفيه، لازما ما أضاعوه. ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم. ولو كان ذلك من عملهم مشهورا، أو من أخلاقهم معروفا، لاستفاض عنهم، ولشُهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات»[150].

وفهم الإمام ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) من حديث ضمام بن ثعلبة الذي رواه البخاري ومسلم[151] صحة إيمان المقلد؛ فقال: «وفي الحديث دلالة على صحة ما ذهب إليه أئمة العلماء في أن العوام المقلدين مؤمنون، وأنه يكتفى منهم بمجرد اعتقادهم الحق جزما من غير شك وتزلزل، خلافا لمن أنكر ذلك من المعتزلة»[152].

وبيَّن التقي ابن تيمية في أكثر من موطن أن ما اعتبره المتكلمون أصل الإيمان ممَّا عُلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام. إذ مما عُلم من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وما جاء به من الإيمان والقرآن، أنه لم يدعُ الناس بهذه الطريق أبدا، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ولا التابعين، فكيف تكون هي أصل الإيمان؟ والذي جاء بالإيمان، وأفضل الناس إيمانا، لم يتكلموا بها ألبتة، ولا سلكها منهم أحد.

والذين يدعونها فريقان:

فريق ظن أنها صحيحة في نفسها، لكن أعرض عنها السلف لطول مقدماتها، وغموضها، وما يخاف على سالكها من الشك والتطويل. وهذا قول جماعة كالأشعري في رسالته إلى أهل الثغر، والخطابي، والحليمي، والقاضي أبي يعلى، وأبي بكر البيهقي وغيرهم.

---

(١٤٩) الفصل ٧٥/٤.

(١٥٠) التمهيد لابن عبد البر ١٥٢/٧.

(١٥١) البخاري في كتاب العلم - باب القراءة والعرض على المحدثين - حديث٦٣ (فتح الباري ١٧٩/١)، ومسلم في كتاب الإيمان - باب السؤال عن أركان الإسلام - حديث ١٢.

(١٥٢) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط ص١٤٢.

وفريق يرى أن هذه الطريقة باطلة في نفسها، ولهذا ذمها السلف، وعدلوا عنها. وهذا قول أئمة السلف؛ كابن المبارك، ومالك، والشافعي، وأحمد...[١٥٣].

- ٣ -

هذا، وقد أثيرت فكرة هذه الرسالة قبل أبي العباس السجلماسي بين فقهاء بلده سجلماسة، وانقسم علماء سجلماسة حولها فريقين:

الأول: يتزعمه الفقيه الناسك الشيخ أبو عبدالله محمَّد بن عمر بن عبدالعزيز ابن أبي محلي؛ صاحب رسالة «المنقذة»[١٥٤].

والثاني: يتزعمه الفقيه المشارك الناسك العالم أبو عبدالله مبارك بن محمَّد العنبري الغرفي[١٥٥].

تصدى العلامة ابن أبي محلي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسجلماسة، وركز في دعوته على إزالة المنكرات المتعلقة بالعقائد الإيمانية، والمعارف الدينية. وألف في ذلك رسائل وكلاما منظوما ومنثورا[١٥٦]، ولقن ذلك طائفة من أصحابه، وأمرهم بإفشاء تعليمه في الطرقات والأسواق والأندية. وأمرهم أن يسألوا الناس عن معتقداتهم، ويباحثوهم عما أضمرت قلوبهم في حق الله وفي صفاته وأسمائه، وفي حق الرسول صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بذلك. فمن أخبرهم بما يوافق الذي عندهم تركوه، ومن قال بخلاف ذلك كفروه، وقالوا بفسخ أنكحته، وحرمة ذبيحته، وغير ذلك من

---

(١٥٣) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٤٣/٥-٥٤٤ (بتصرف).

(١٥٤) قال عنها العياشي: «تصفحت قريبا من نصفها... فاستحسنت ما فيها؛ لأنه دعا إلى الله وإلى معرفته، والتحريض على تعلم ما يجب علمه في حق الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، والتحذير من وقوع الإنسان في الكفر من حيث لا يشعر... إلاّ انه (سقط) بقي النظر عندي في أشياء من ذلك أردت أن أذكرها في هذه الرسالة ليتدبرها هو وغيره ممن يراها من أهل العلم، عسى أن يجعل الله ذلك سببا لإطفاء نارالتعصب الواقعة بين الفريقين». (الحكم بالعدل والإنصاف ورقة ٥).

(١٥٥) انظر: الحكم بالعدل والإنصاف لأبي سالم العياشي ورقة ٣، ٤، المحاضرات لليوسي ٢٩٩/١.

(١٥٦) له تقييد في إيمان المقلد، وضرورة الاعتقاد الذي هو أساس الإيمان. توجد نسخة منه بمكتبة الشيخ عبدالله كنون برقم ١٠٥٤٥ (٦ ورقات). (فهرس مخطوطات مكتبة عبدالله كنون ص٣٢٤).

الأحكام المترتبة على الكُفْرِ الصريح. فقلق الناس واضطربوا ومرج أمرهم، فمن قائل: هذا هو الحق، ومن قائل: ما سمعنا بهذا قط.

فلما رأى الفقيه مبارك العنبري ما حل بالناس من بلاء، وما دهمهم من ذلك الأمر، تصدى للرد عليه، وتزييف مقالته. فتحزب طلبة العلم لهما حزبين، وانقسموا طائفتين، بالغت كل طائفة في التشنيع على الأخرى بالكفر فما دونه، وثارت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الفريقين.

وممن هاله أمر الفريقين من العلماء قبل السجلماسي: العلامة أبو سالم عبدالله ابن محمد العياشي (ت١٠٩٠هـ)، فألف رسالة لبيان حقيقة هذا الأمر، سماها «الحُكْمُ بالْعَدْل والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف في تكفير من أقر بوحدانية الله، وجهل بعض ما له من الأوصاف»[١٥٧].

وقد كان قيام هذه الفتنة العقدية في سجلماسة أواسط القرن الحادي عشر الهجري سبب تأليف العلامة أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي (ت١١٠٢هـ) كتابه «مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص»[١٥٨] الذي رجع فيه النزاع بين المتأخرين في معنى كلمة الإخلاص إلى زمان أبي محمد عبدالله بن محمد الهبطي (ت٩٥٣هـ)، «ثُمَّ لم يزل - كما يقول - إلى الآن يثور فيها بين الطلبة النزاع، ويقع الدفاع والقراع»[١٥٩].

بل سجل في محاضراته[١٦٠] هذه الفتنة حين مر بسجلماسة في أعوام السبعين وألف، فوجد فئة من طلبة العلم أشاعوا أن الفساد قد ظهر في عقائد الناس، وأن التقليد في علم التوحيد جهل وضلال، فجعلوا يسألون الناس عما يعتقدون، ويكلفونهم الإبانة والجواب عن الصواب، فشاع في الناس أن من لم يشتغل بالتوحيد على النمط الذي يقررون فهو كافر، فدخل من ذلك على عوام المسلمين أمر عظيم، وهول كبير.

ولم يقتصر هذا البلاء على عوام المسلمين، بل انتهك أصحابه خاصة المسلمين أيضاً، فتناولوا فقهاء وقتهم، ووقعوا في أهل العلم والدين ومَن هم على سَنَن المهتدين، وضللوهم.

---

(١٥٧) مهيأة للطبع تخرج قريبا إن شاء الله.

(١٥٨) أشار إلى ذلك أبو القاسم العميري في فهرسته، نقلا عن فقه النوازل في سوس: قضايا وأعلام ص١٥٩.

(١٥٩) مشرب العام والخاص ص٢٤٣.

(١٦٠) المحاضرات في الأدب واللغة ٢٩٧/١ وما بعدها.

قال ما نصه: «وقد اشتعلت فتنتهم حَتَّى كادت تخرج إلى الآفاق كلها، ثُمَّ أطفأها الله تعالى بفضله، فجاء طاعون عام تسعين وألف، فاجتث شجرتهم من فوق الأرض، فلم يبق لها قرار»[١٦١].

وجاء أبو العباس السجلماسي ليدلي بدلوه في هذه القضية، ويشارك علماء عصره فيما يواجهون من مشكلات مدلهمات، ويساهم في معالجة الفتنة القائمة، رجاء أن يقع الإنصاف، وتنحسم مادة الخلاف، فإن الاختلاف في هذا الأصل الكبير كبير، وزعزعة مثل هذا الأساس خطير مُبير.

ألف رسالته هذه متأثرا بمن تقدمه من الفحول؛ أمثال الغزالي، وعياض، والأبياري، والعز ابن عبدالسلام، وابن الشاط، والقرطبي، وابن حجر... هؤلاء الذين خبروا منهج المتكلمين في إثبات المعرفة، وانتقدوا طريقتهم وكشفوا عوارها، وأبانوا أنها لا توصل إلى اليقين، وإنما إلى التردد والحيرة والتشكيك.

وبيَّن بجلاء أن التكفير شرعي لا عقلي كما يقول المعتزلة، وأن التزام ضوابط ما يُكفر به في الشرع يفيد أن المقلد ليس بكافر، كما أنه ليس بعاص أيضاً بترك النظر.

وكشف بالبرهان أن علم الكلام ليس برافع للتقليد؛ لأن كثيرا من أدلته جدلية لا برهانية، وأن البداهة والضرورة تغني عن قواعد علم الكلام؛ فإن دلالة الأثر على المؤثِّر ضرورية مركوزة حتى في فطر الصبيان والبهائم. فمعرفة الله والإقرار بوجوده من الأمور الضرورية الفطرية التي غرسها الله في قلوب جميع الإنس والجن، وأن الاستعانة بدلالة الفطرة، والاستدلال بآيات الله في الأنفس والآفاق، مِمَّا يُثلِجُ صدر المسلم، ويزيده يقينا وثباتا ومعرفة بخالقه جل وعلا.

ولم يكن السجلماسي في هذه الرسالة تابعا فحسب، جماعا للأقوال، أسيرا للآراء والفهوم، بل يحرر ويؤصل، ويصحح ويوثق، ويوازن ويرجح. فلم يضع نفسه في مقام التسليم دائما، بل يتعقب وينتقد، ويرد على الأكابر والأصاغر، فتراه يتناول كلام القِمم، ويقبل منه ويرد، ويناقش ويصوب، ويمس أطرافه بنقد بناء، وتوجيه قاصد. كل ذلك في أَدَبٍ جم، وتواضع لائق.

فقد رد على أبي الحسن الأشعري - فيما نَقَلَهُ عنه أبو بكر ابن فورك - ما قرر من أن معرفة الله نظرية. وناقش السيف الآمدي في اعتراضه على الباقلاني في ادعاء

(١٦١) المحاضرات ١/ ٢٣٢.

الضرورة في إثبات المصححات له تعالى عند ظهور الإتقان في الكائنات مناقشة الند للند. ورد على ابن التلمساني في استغرابه ما قرره الفخر الرازي من أن البهائم تدرك قضايا كلية ولوازمها.

وهكذا دواليك في ثنايا الرسالة؛ بيان وتحقيق، وتحرير وتأصيل، ونقد وتقويم، ومناقشة واستدراك....

الثالث: مصادر الرسالة

تنوعت مصادر رسالة السجلماسي «رد التشديد» لخصوبة الموضوع الذي تناولته من جهة، ولسعة المجالات المعرفية التي تتصل بها من جهة ثانية، لذلك استقى المؤلف مادتها من مصادر المعرفة الإسلامية عموما، وإن كان لكتب الكلام والمنطق والأصول والملل حضور قوي في بنائها. فقد كان أبو العباس أسير نظريات أبي بكر الباقلاني، والغزالي، وابن فورك، ولآراء الفخر الرازي، والآمدي، والأبياري، وابن التلمساني، والتفتازاني... في كون علم الكلام لا يوصل بقواعده وبراهينه إلى الحقيقة، ولا ينهض طريقا وحيدا للمعرفة. فكتابات هؤلاء ساهمت إلى حد كبير في صياغة فقرات هذه الرسالة، وفي إضفاء حلة من الأسلوب الكلامي، والتعقيد اللفظي عليها.

كما استعان المؤلف بتفاسير الثعلبي، والفخر والرازي، والقرطبي، وابن كثير، في توجيه بعض الآيات الَّتي يعتبرها أهل الكلام أدلة وجوب النظر، فيأخذ من تلك التفاسير ما يؤكد أنها موجهة للكفرة الملحدين، لا فيمن اُعتقَد الحق من عامة المؤمنين.

كما وَجَدَ عند شراح الصحيحين؛ كالقاضي عياض، وأبي العبّاس القرطبي، والحافظ ابن حجر، ما يخدم الغرض نفسه.

وكان أيضاً لمناظرات جعفر الصادق، ومأثورات عن بعض أئمة السلف، وحكايات شعبية رائجة في عصره، أثر بارز في كون أدلة المتقدمين وبراهينهم في تقرير العقائد قريبة المرام، سهلة المأخذ، لم تتلوث بعد بصنعة الكلام، وفلسفة المنطق.

كما استمد أبو العبّاس كثيراً مما يتعلق بأصناف الكفرة والملحدين وطبقاتهم من كتب الملل والنحل والأهواء، خاصة كتاب الشهرستاني الذي نقل منه فِقرا كثيرة، وإن كان لمقدرة أبي العباس، وسعة اطلاعه، أثر في بلورة ما ينقل، واستثماره، والاستنتاج منه، ولذلك جاءت رسالته هذه تعكس مشارب من المعارف والعلوم، كان جلها مطلوباً في عصره، متداولاً بين أهل زمانه.

الرابع: مزايا ومآخذ

مزايا هذه الرسالة عديدة؛ فهي في إطار عصرها سدت ثغرة في عقيدة الأمة، وحسمت أمرا كاد النزاع يستحكم فيه بين علماء العصر، ويعصف بما يسود أجواءهم من الاستقرار والوئام. كما أن مؤلفها ممن يعيش أحداث عصره، ويساهم في حل ما يعرفه من إشكالات علمية وعقدية، فلم يكن ممن اعتزل الحياة، واختار التقوقع والانطواء.

ناهيك أنها عالجت موضوعاً حساساً، يمس جوهر عقيدة الإسلام، ويصنف النَّاس على أساس تحصيلهم فن صناعة الكلام، وتمرسهم بأساليب النظر وطرق الاستدلال. فمن أَلَمَّ بشيء من ذلك فهو، الفالح، ومن أخل به فهو الهالك، فكانت فتنة أصاب شررها عامة النَّاس وخاصتهم، فانبرى القائمون على حراسة الشرع والدين، يبينون وجه الحق في هذه المعضلة، ويطفئون نار فتنتها قبل أن تأتي على الأخضر واليابس، ويأخذون بيد الحائرين في تموجاتها إلى بر الأمان، ويزيلون ما علق بنفوسهم من أَوْضَارِ التردد والشك والأرياب.

فنفع الله بها منذ أن ظهرت، وامتدت إليها يد بعض العلماء بالاختصار، ومازالت تحمل في مضمونها من عناصر الجدة والنجاح الشيء الكثير؛ فهي تضم إلى قوة البَيَانِ، وجزالة العبارة، وحسن السبك، وإحكام المنهج، عناصر أصالة النقول، ومتانة الحجة، ونصاعة البرهان، وبراعة الاستدلال. وهي عناصر أساسية تجعل عملا علميا كهذا لا يستغنى عنه في أي وقت من الأوقات. فما زلنا نرى في أمتنا من يطالب عامة الناس بما لا يطيقون، ويخاطبهم بما لا يفهمون، ويخوض بهم في جزئيات وتدقيقات وتعقيدات تقصم ظهرهم، وتجعلهم يتصورون أن الدين الإسلامي لا يستقر في جنب الإنسان المسلم إلاّ عبر مجموعة من المقدمات الكلامية، والتصورات المنطقية، مع أن الإسلام من كل هذه الأمور بريء، وأن الدين الحق لا يعدو الانقياد للوحي الإلهي عن طريق أعلام النبوة ودلائل الرسالة.

ومما يزينها كذلك كون مؤلفها جمع لها من النقول والروايات المنتقاة من كتب التفسير والحديث والأدب... خاصة نظرات جعفر الصادق، ومناظراته لبعض الملاحدة، كما أورد فيها نصوصا من كتب نادرة؛ مثل كتب ابن فورك والباقلاني، وتوسعه في التعريف بالفرق والديانات والمقالات.

غير أن هذه الرسالة - كأيِّ عمل بشريٍّ - تعكس ثقافة مؤلفها من جهة، والجو العلمي السائد في عصر ظهورها من جهة أخرى. ولذا يؤخذ عليها ما يؤخذ على مؤلفها السجلماسي بوجه عام؛ فهو إلى جانب استبحاره في المعارف والعلوم، وتبوئه مكانة العلماء الأثبات، الذين افنوا أعمارهم في خدمة العلم درسا وتأليفا، حتى أثنى عليه وعلى إنتاجه الموافق والمخالف. إلاّ أن تأليفه لكتاب «الإبريز» في شأن شيخه عبدالعزيز الدباغ، وما أضفى عليه من أوصاف علمية، وألقاب شريفة، ومراتب سَنية، يَجل عن مثلها الضاربون بسهم وافر في العلم، فضلا عن الأميين العاديين، جر عليه من النقد اللاذع، واللوم الكثير، والنظر بريبة إلى فكره وإنتاجه الشيء الكثير.

وقد كان غلوه في تقدير شيخه الدباغ، واستصغاره لشخصه وعلمه أمامه، وانسياقه كليا وراء حركاته وإشاراته أمرا حيَّر النقاد في علمه ونبوغه....

أما هذه الرسالة التي أنشأها لسد ثلمة في الفكر العقدي في عصره، فقد حشد لها من الروايات المغمورة، والآثار الواهية، ما لا حاجة إليه إذ في صحيح المأثور ما يثري موضوعها، ويغنيه عن الخوض في غيره.

كما أن استشهاده ببعض الحكايات التي يتنافى بعضها مع مقتضيات العقل السليم، والعقيدة الحقة، لتقرير بدهيات لا يماري فيها أحد، ومسلمات فطرية جُبل عليها كثير من الخلق، شوش على إشراقات هذه الرسالة، وعكر صفو ما في ثناياها من حقائق علمية جديرة بكل تقدير واحترام، إذ لو نزه رسالته عنها لكانت أسمى وأنقى وأفيد.

ومما يؤخذ عليه أيضا: إغراقه في كتابات المتكلمين، وانتزاعه القرائن والأدلة من كتبهم، مع شعور قارئ رسالته بأنه كان أقوى منهم في وضوح الرؤية، وسوق البراهين، وتحرير محل النزاعات، وتقرير الحقائق. ولا يشفع له نقده لبعضهم، ورده على الكثيرين منهم، ما دام سجين كتبهم وآرائهم ونظرياتهم.

الخامس: وصف نسخ الرسالة

اعتمدت في تحقيق رسالة «رد التشديد في مسألة التقليد» على خمس نسخ خطية، متقاربة في التصحيف والتحريف، متفاوتة في جودة الخط ورونقه، مما يغلب على الظن أنها - كلها - منقولة من أصل واحد؛ وهو أصل المؤلف. وهذا وصف تلك النسخ:

- النسخة الأولى: رمزتُ لها بحرف (ل)، وتحتفظ بها الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (١٠٩٢ك) الكتاب الثالث ضمن مجموع. تبتدئ من صفحة ١٩٧ وتنتهي عند

صفحة ٢٢٤. مسطرتها ٢٢، ١٨/٥، ٥ سم. في كل صفحة ٢٠ سطرا. العناوين ورؤوس المسائل وأسماء الأعلام بالحرف الأسود البارز، مع توشيح بالحمرة والزرقة والخضرة. خطها مغربي جيد، قليلة الأخطاء، خالية من الحواشي والاستدراكات، منقولة عن أصل المؤلف، في آخرها: «وكان الفراغ منه يوم الأربعاء التاسع عشر من ربيع النبوي عام سبعة وأربعين ومائة وألف. قاله وكتبه عبد ربه تعالى أحمد بن مبارك ابن محمد بن علي السجلماسي ثُمَّ اللمطي، لطف الله به آمين».

والناسخ مجهول، لم يثبت اسمه وتاريخ نسخه للرسالة.

- النسخة الثانية: رمزت لها بحرف (ر)، وتحمل بسجلات الخزانة العامة بالرباط رقم (٢٧٩د). خطها مغربي جميل، عناوينها ورؤوس مسائلها باللون الأحمر، بعض مصادر المؤلف باللون الأزرق. أثبت الناسخ في الهوامش عناوين مسائل الرسالة، واستكمل ما سقط من الأصل في بعض الأوراق. مسطرتها ٥،١٨/٢٣ سم. في كل صفحة ٢١ سطرا. ويبدو أنها نقلت من الأصل الذي نقلت منه نسخة (ل)؛ لأنهما تحملان تاريخ فراغ المؤلف من كتابتها؛ وهو ١٩ من ربيع النبوي عام ١١٤٧هـ. وتفردت هذه بتاريخ فراغ الناسخ من نسخها؛ حيث قال في آخرها: «ووافق الفراغ منه في أوساط جمادى الثانية عام أحد وثلاثمائة وألف، رزقنا الله خيره ووقانا شره».

ولم يذكر الناسخ اسمه، ويبدو من أخطاء النص وتحريفاته أنه من المبتدئين في العلم.

- النسخة الثالثة: رمزت لها بحرف (ب)، وهي محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٢٥٩١د) ضمن مجموع، تبتدئ من صفحة ٢٤٦ إلى صفحة ٢٧٣. خطها مغربي جميل. مسطرتها ١٧/٢٢ سم، في كل صفحة ٢١ سطرا. العناوين ورؤوس المسائل بالحمرة. منقولة عن الأصل الذي نقلت منه نسخة (ل)، عارية عن اسم الناسخ، وتاريخ النسخ. في هوامشها تصحيحات واستدراكات، لا تخلو من أخطاء.

- النسخة الرابعة: رمزت لها بحرف (ط)، وتقع في مجموع مسجل برقم (٣٦٤د) بالخزانة العامة بالرباط، تبتدئ أوراقها من صفحة ١٦١ إلى صفحة ١٨٥. خطها مغربي دقيق مقروء. العناوين ورؤوس المسائل بالحمرة. مسطرتها ٢١، ١٧/٥ سم، في كل صفحة ٢٤ سطرا. وقد تعود إلى أصل سابقاتها، وزادت عليها بتحريفات وأخطاء وأسقاط، مما قد يفيد غفلة الناسخ وسهوه وقلة بضاعته. عارية عن اسم الناسخ، وتاريخ النسخ.

- النسخة الخامسة: رمزت لها بحرف (م)، وهي محفوظة بمكتبة الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة تحت رقم (٨٠/٢) في مجموع جاء على طرته: هذا الكتاب وقف حرام مؤبد مقره المدينة المنورة من محمد العزيز الوزير حسب البيان بالحجة المعروضة غرة رجب ١٣٢٠هـ.

تقع في ١٧ ورقة، تبتدئ من ورقة ٢٠١ إلى ورقة ٢١٧. خطها مغربي مقروء، مسطرتها ٢٢ سم، في كل صفحة ٢١ سطرا.

ويظهر أنها منقولة من أصل المؤلف، لأن الناسخ ختمها بقوله: «وكان الفراغ من نسخها لما بالأصل بعد الزوال يوم الأربعاء ١٩ من ربيع النبوي عام ١١٤٧هـ».

لا تخلو من سابقاتها من أخطاء. عارية عن اسم الناسخ، وتاريخ النسخ.

طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م: صدرت بتحقيق الباحث عبدالمجيد خيالي. وهي طبعة يُفترض فيها أن تكون بجودتها وصحتها صارفة كل من خطر بباله ضياع وقته وجهده في إخراج الرسالة من جديد. ولكن - يا للأسف - كانت من أسوأ الطبعات، وأكثرها سقما وتحريفا، حتى تجاوزت أخطاؤها وتصحيفاتها وأسقاطها الستين..[١٦٢].

وقد كانت عنايتي بهذه الرسالة تعود إلى سنة ١٩٩٦م عندما وقفت على نسخها، وصرفت وقتا وجهدا في نسخها، ومقابلتها، والتعليق عليها. وأخذتني عنها شواغل أخرى إلى أن وقفت عليها مطبوعة، فقلت في نفسي: وكفى الله المؤمنين القتال! المهم أن تخرج الرسالة وترى النور، وقد حصل. لكن ما إن تصفحتها وقرأت متنها، حتى وجدت ألف داع يدعوني لأنظر في عملي، وأجمع أوراقي وأرتبها من جديد.

(١٦٢) ولولا خشية الإطالة لأثبت كل ذلك، ولكن القارئ اللبيب يدركها بسهولة...

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده هذا ما يتيسر فيما علقه
غزير تقييده في مسألة التقليد جعله الله تعالى خالصا
لوجهه الكريم وموجبا لرضوانه العظيم انه ذو الطول المبين والفضل العزيز عليه
توكلت وهو حسبي ولا ازيد اعلم ان مسألة التقليد تنبني على امور لا بد منها
امور اخرها مسائل التكليف ثم على اوصاف الفعل والعوارض انه شيء حتى
قال الغزالي رضي الله تعالى عنه في المستصفى والتوقف بين الرد فيه حكمين احدهما
في الدنيا وهو الحكم بالاباحة ونحوها والثاني في الآخرة وهو الحكم بالخلود
في النار وكل من يعتقد الحكمين لا تلقى الا من الشرع العزيز فثبت ان التكليف شرعي
لا عقلي خلافا للمعتزلة الذين يحكمون العقل وينصبون اليه سبيلا الا ما قال وقال ابن
الابياري وابن القشيري وغيرهم من الفحول رضي الله تعالى عنهم ثم نقول اذا ثبت
ان التكليف شرعي فيما يتعلق بالشرع فجوابه ان ذلك ثلاثة امور
الاول نفس الاعتقاد كاعتقاده انه تعالى عن ذلك علوا كبيرا عاجز او جاهل
او ميت او معدوم او شيء من ذلك مما ينافي الجزء الاول من كلمة التوحيد الثاني ما فيه
تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم كاعتقاد انه صلى الله عليه وسلم ... او غير
وغيره ليس برسول او لم يرسل لجميع العالمين او غير ذلك مما ينافي الجزء الثاني من كلمة
التوحيد التي هي قولنا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالث

صور الصفحة الأولى من النسخة (ل)

الاسرار على عقولهم واستحوذ الشيطان على قلوبهم وكذلك يطبع الله على قلوب
المعتدين **وهذا آخر ما قصدته** وقطرة من ما عثرت به ورحم الله
امرأ سامح بالاغضاء وسامح بالاطراء وعذر بقصور الباع وقلة الاطلاع
ونكب ما فيه من حسن التسمية ومزيد التعظيم ثمرة لنا والتنويه فإنه لو أعطى القوس
باريها واسكن الدار بانيها لما عرا منها ليالي العي ولا في التعليم ولا من براعة سماع
النسبة نغم ولا فهم ولا عرا في عراد الموالي والتعليم ولكن البلاد اذا اقشعرت
وصوح نبتها رعي الهشيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله عدد ما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره الغافلون **وكان** الفراغ منه يوم الاربعاء التاسع
عشر من ربيع النبوي عام سبعة واربعين ومائة والف فالله كتبه
عبد ربه تعالى احمد بن مبارك بن محمد بن علي السجلماسي
ثم اللمطي لطف الله به آمين
انتهى بحمد الله
تعالى وحسن
عونه
؟

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ل)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

يقول الفقير العبد الراجي رحمة مولاه
أبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسي
اللمطي رحمه الله ورضي عنه

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده منذ أيام بعث إلي بعض من يشتغل بما علوم
عني رسالة سميتها جرد التشديد في مسألة التقليد جعلها الله تعالى
خالصة لوجهه الكريم وموجبة للفوز لديه في جنات النعيم إنه جواد والقول المفيد
والفضل العريض عليه توكلت وهو حسبي وبدأت بذكر أعلام بأن
مسألة التقليد لا ينفع فيها إلا تحصيل أمور أحدها أن مسألة التكفير شرعي
لا عقلي والجواب الذي عندي قال الغزالي رضي الله عنه في الاقتصاد
والنفع فيه بر لبيان أنه فيه خطير أحدهما في الدنيا وهو الحكم بإباحة دمه
وماله وولده ... في الآخرة وهو الحكم بخلوده في النار وكل من هذين
الحكمين لا يتلقى إلا من الشرع ... وثبت أن التكفير شرعي لا عقلي
هذا لفظه لفظ الذين يحكمون العقل وينسبون إليه شيئا من الأحكام وقاله
أيضا الأبياري وابن التلمساني وغيرهم من المحققين رضي الله تعالى عنهم فثانيها
إذا ثبت أن التكفير شرعي مما ثبت بالأدلة ... في الشرع وهو أنواع ذلك لأنه
أمور الأول ما كان بنفس اعتقاد ... اعتقاده أنه على ذلك العلو ...
عام أو خاص أو بعث أو ... إلى غيره ذلك لأنه ينافي الجزم بالإيمان كمن
أنكر الشافعي فإنه تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم ومنه ما ...

(الصفحة الأولى)

صورة الصفحة الأولى من النسخة (ر)

ولا معدوم بل ولا اسكنه بل بمعنى انه منزه عن جميع المتقابلات من الوجود والعدم
والوحدة والكثرة والوجوب والامكان وهو متعال عن نقيضيه ومنها قولهم
تعالى الله موجود ولا واحد ولا واجب فبالغ في التنزيه ولا فعل في زمن باين
عن البطلان اه ومذا من الصواب منزه في المعطلة ولانهم عطلوا الذات العلية
عن جميع الصفات فانهم عطلوا الصنع عن الصانع تعالى والاجوبة كلها تعني
من جميع التقادير ولو حقيقة واستقصى وغيرهم رضي الله عنهم لا تدل
على وجود كما يعني من العالم تتخلص منه ان انحلت انها ملتبسة بالمرتفعين تشبيه
والتشبيه فمن نفي من الواحد ونحوه فينظر وان قلنا بالسؤال والجواب ونسبه
لما قال جميع التقادير رضي الله عنه فتح باب المعاصي والشهوات حتى
تغلب ان امنوا على العقول والابد والحق واضح من ان يخفى على احد وهذا كلام
مغفل قال رضي الله عنه ولعمري ما اوتي الجهال من قبل ربهم وانهم ليرون
الدلالات الواضحات والعلامات الكاملات في خلقهم وفيما يعلمون في السماء
والارض من الصنع المتقن ولكن فتحوا على انفسهم ابواب المعاصي والشهوات
فسهلوا لها سبيل الشهوات فغلبت الاهواء على عقولهم واستحوذ
الشيطان على قلوبهم وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين وهذا اخر
ما قصدته وغاية ما اعتمدته ورحم الله امرءا اسامح بالاغضاء واسبل [illegible]
وعذر بقصور الباع وقلة الاطلاع وشكر والحمد لله في حسن التنبيه [illegible]
النعم لمولانا والثناء بما يليق [illegible]
لما عداها [illegible] في العبد [illegible] في النعيم [illegible]
ولا [illegible]
[illegible] وصلى الله على سيدنا محمد وآله عدد ما ذكره الذاكرون

(الصفحة الأخيرة)

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ر)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم
يقول أفقر العباد إلى رحمة ربه [illegible] على ربه في الابتداء
أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي المعتصم
بمولاه [illegible] السعيد

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده [illegible]
[illegible] علوم غزيرة [illegible] التقييد مسألة التقليد [illegible]
الله تعالى [illegible] توحيده الكريم ومرجيه لغفرانه العميم إنه خير
المسؤول [illegible] والمنظر [illegible] عليه توكلت [illegible] ولا أزيد
اعلم أن مسألة التقليد لا يتم أمرها إلا بتحرير أمور أحدها
محل التقليد [illegible] والجواب [illegible]
عنه [illegible] والشريعة بدليل أن [illegible] الدنيا وبعد
الحكم بالأحكام [illegible]
[illegible] الحكم لا يتلقى [illegible]
[illegible] العقل [illegible]
وفائدة أيضا [illegible] منهم [illegible]
إذا ثبت أن التقليد [illegible] والجواب أنها
ثلاثة الأول ما كان [illegible] أنما اعتقاد [illegible] عن ذلك
[illegible] ذلك [illegible]
الجزء الأول [illegible] للنبي صلى الله عليه وسلم
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]

صورة الصفحة الأولى من النسخة (ب)

247

والمفوضة الذين هم من السلف لا الذين لا انه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختلاف الناس ما اجتمعت الامة على انه لا يعذر الا من كان ممن لم يجد
للفهم تعلمه واختيارا وتبيينا له كذلك من اهل المعرفة للعربية الذين
بنوع العالم والاجمال التي تتضمنه الكتب التي في الكتاب تفهيمها
وتبصر من تنازع ذلك هذا معنى ما ذكره العلماء رحمهم الله تعالى
عنهم والله اعلم ثم الشيخ اذا انتفى ذلك فليس اعتقاد المقلد لا اعتقاد
الصحيح المطابق للواقع بواحد من هذه الثلاثة فلم يعتقد الحق
سبحانه الا الحق وانه في الرسول صلى الله عليه وسلم الا الصدق ولا شيء
مما اجمعت الامة على انه لا يعذر الا من كان من قبيل ان المقلد
ليس بكافر على مذاهب الشريعة المعتبرة ولا يصح تكفيره الا على مذهب
المعتزلة الذين يرون ان التكليف عقلا ويثبتون قبل الاحكام التي
الصفة ويرى وجوه على الشرع ويرون ان شكر المنعم واجب بالعقل وان
الايمان من جملته واجب بالعقل وان الايمان هو المعرفة الكائنة عن
الدليل والبرهان وان كل ما لم يكن عن دليل وبرهان فليس معرفة فليس
بايمان فيلزمهم ان يكون المقلد كافرا ثم كثر المقلد على مذهبهم
حتى قيل ان مسألة تكفير المقلد تنبني في مذهب اهل السنة من عقائد
المعتزلة فقاله ابو جعفر السمناني وكان من رؤوس الاشعرية لا شيء نقله
عنه ابو الوليد الباجي وابو بكر ابن العربي قلت ومعرفة
الشيخ الاشعري رضي الله عنه في تفسير الايمان على مذهب القاضي
واختار بعضهم على ذلك القاضي ابو بكر الباقلاني في كتاب الاجتهاد
ابو بكر بن فورك في كتابه الذي جمع فيه مقالات الشيخ ابي الحسن الاشعري رضي الله عنه

صورة الصفحة الثانية من النسخة (ب)

272

واصنام بني [illegible] وهم متعبدون على الاعتراف بالحق سبحانه لا اله الا هو واثبتوا
الطايفة المعطلة فتقاً معنى قول الشيخ سناً انهم ثلاث فرق معطلة الكل وهم
معطلة الهنود ومعطلة العرب واسرك بنايه الذين التي [illegible] الكلام عليهم
اشكالا وجوابا وقال صاحب تلخيص المطالب المعطلة وهم الملاحدة يقولون انه
تعالى موجود وواجب لكن لا بمعنى انه متصف بالوجود والوجوب بل بمعنى انه تعالى
يعطي الوجود ويعطي الوجوب فهما لو ان العقل لا يصل اليه لانه مبدا العقل
فلا يتصف بموجود ولا عدم ولا كلي ولا جزئي وبالغوا في هذا التنزيه ومن التنزيه
عن التشبيه وقال الشيخ [illegible] في شرح المقاصد وفي كتب الملاحدة في وجود
الصانع لا بمعنى انه لا صانع للعالم بل بمعنى انه ليس بموجود ولا معدوم بل واسطة
بل بمعنى انه مبدا لجميع المتقابلات من الوجود والعدم والوحدة والكثرة والوجوب
والامكان فهو متعال عن ان يتصف بشيء منها فلا يقال انه موجود ولا واحد ولا
واجب مبالغة في التنزيه ولا يخفى ما في ذلك من [illegible] البطلان وهذا
هو المراد بقوله في المعطلة وانهم عطلوا الذات العلية عن جميع الصفات لانهم
عطلوا الصنع عن الصانع تعالى في الاجوبة السابقة من جعفر الصادق وابي حنيفة
والشافعي وغيرهم رضي الله عنهم جميعهم لا تدل على وجود طايفة من الكلام تشتمل
هذه النحلة الباطلة بالبديهة [illegible] فليطلب من السنة
بالسوال والجواب وسيأتي كما قال جعفر رضي الله عنه في باب العلم والشبهة
حتى تغلب الاهواء على العقول [illegible] اوضح من ان يخفى على احد وهذا
الكلام جعفر قال رضي الله عنه ولعمري ما اوتي الجهلة من قبل ربهم وانهم ليرون
الدلالات الواضحات والعلامات الظاهرات في خلقهم وما يعاينون في [illegible]
ولا رضي الصنع المتين ولكن فتحوا على انفسهم ابواب المعاصي والشبهات فجهلوا

صورة الصفحة الثالثة من النسخة (ب)

273

الذي هو سبيل الشهوات بعد لبث لا يعقلوا على عقولهم وأنشؤوا الشطحات على
قلوبهم وكثرات يجمع الله على قلوب المعتبرين وفيه إرادة ما قصدت
وشهادة ما اعتقدت ورسم الله أن أساعد في الأمهات وأستعمل الحضور وعلم
بخطوط البلغ وخلة الإعلام وشكر ما أجده من حشو التشبيه ومن سوء التعظيم
لولا ما أو الشهيد فإنه لو أمكن الغوص بأدنيته وأبتكر الدارسين فما عن
أشانا في العين ولا في النعيم ولا من بعدو في سبيل النبي بنعم ولا تحيرة ولا تفتر
في إعداد السوال ولا النعيم ولا الأسباب دار الفتنة وصلى نبينا زمن النبي
وصلى الله عليه وسلم تسليما عدد ما ذكره الذاكرون وسهى عن ذكره
الغافلون وكان الفراغ منه بعد الزوال يوم الأربعاء التاسع عشر
من ربيع النبوي عام سبعة وستين والف وكتبه عبد ربه على يد
مبارك بن محمد بن علي السجلماسي اللمطي لنفسه ولمن شاء الله من بعده بواسطه

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)

١٦١

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد
على غيره، سميتها رسالة التكفير، في مسألة التكفير، جعلها الله
خالصة لوجهه الكريم، وموجبة لرضوانه العظيم، إنه ذو الطول الرحيب
والفضل العظيم، وعليه توكلت وهو حسبي لا أزيد. اعلم أن مسائل
التكفير لا يتضح أمرها إلا ببيان أمور أحدها أن التكفير شرعي أو عقلي والصواب
أنه شرعي قال الغزالي رحمه الله تعالى ورضي عنه في الاقتصاد والتفرقة بين الملل
فيه حكمين أحدهما في الدنيا وهو الحكم بإباحة دمه وماله ووارثه أبدا
في الآخرة وهو الحكم بخلوده في النار وكلا هذين الحكمين لا يتلقى إلا من الشرع لا
العقل بين حيث إن التكفير شرعي لا عقلي خلافا لبعض [illegible] يجعلون العقل
ويستمدون منه مسائل الأحكام وقالوا إنه [illegible] وإن الأصل [illegible] من الجهل
رضي الله عنهم ثم إذا ثبت أن التكفير شرعي فما جاء [illegible]
في الشرع [illegible] أن ذلك ثلاثة أمور الأمر الأول ما كان نفس اعتقاده
كفرا كاعتقاد أن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا عاجز أو جاهل أو [illegible] أو معه شريك إلى
غير ذلك مما ينافي حق الجزء الأول من كلمة التقوى الثاني ما فيه تكذيب للنبي صلى
الله عليه وسلم كاعتقاد أنه صلى الله عليه وسلم [illegible] وكذب [illegible]
في رسول الله [illegible] لجميع العالمين إلى غير ذلك مما ينافي الثاني من كلمة
التقوى التي هي لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الثالث [illegible] أجمعت الأمة على أنه لا يصدر إلا من كافر [illegible]
واختيار وغير ذلك من الأقوال المقتضية للكفر [illegible] العلم [illegible] والأفعال
التي [illegible]
[illegible]

صورة الصفحة الأولى من النسخة (ط)

من صدر الصحابة وغيرهم رضي الله تعالى عنهم والسلف لم ... إذا ثبت ذلك فليعلم
اعتقاد المقلد الاعتقاد الصحيح المطابق للواقع مؤمن عند الثلاثة
فإنه لم ينقل عن الصحابة أنهم ألزموا أحدا ولا عن الرسول صلى الله عليه وسلم إلا الإقرار
وأن الأمر إذا اجتمعت الأمة على أنه لا يجوز الأمر كلام فثبت أن المقلد مؤمن
فكلام أبي علي وأبي هاشم في المقلد ولا يجوز تكفيره إلا على مذهب المعتزلة لأنهم
لا يرون أن الله يجب عليه وينسبون سائر الأحكام إلى العقل ويعني من
عن الشرع ويرون أن شكر المنعم واجب بالعقل وأن الإيمان من جملته واجب
بالعقل وأن الإيمان هو المعرفة اللائقة عن الدليل والبرهان وأن كل ما لم
يكن عن دليل ولا برهان فليس بمعرفة فليس إيمانا فيكون كافرا فيكون المقلد
كافرا من كبير المقلد وغيره على مذهبهم حتى قيل إن مسألة تكفير العوام
دخيلة في مذهب أهل السنة من مذهب المعتزلة قاله أبو جعفر السمناني
وكان من أجواد الأشاعرة نقله عنه أبو الوليد الباجي وأبو الوليد بن
الطرطوشي قلت وهو صحيح وأن الشيخ الأشعري رضي الله تعالى عنه وجد
في تفسير الإيمان بأنه المعرفة اللائقة عن الدليل والبرهان على مذهب الجماعة
من المعتزلة واختاره كما نقل عنه ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب الاعتقاد
والأستاذ أبو بكر بن فورك في كتابه الذي جمع فيه مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري
رضي الله تعالى عنه وعبارة الأستاذ وحكى أن الأشعري في بعض كتبه عن أبي
الحسين الصالحي أنه كان يقول إن الإيمان خصلة واحدة وهو
المعرفة بالله إلى أن قال وأن الجهل بالله هو الكفر به ثم قال وهو أبو الحسن
الأشعري رحمه الله تعالى في الذي اختاره من الإيمان ما ذهب إليه الصالحي مع أن
الإيمان الشرعي خصال عديدة كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله
جبريل عليه السلام في حديث جبريل المعروف وقال في آخره ذلك جبريل جاء
يعلمكم دينكم والله أعلم وكما أن المقلد مختلف فيه كذلك يحصل الخلاف في ترك
النظر لأن أدلة وجوب النظر نحو قوله تعالى انظروا والآية أولم ينظروا أولم يسيروا

صورة الصفحة الثانية من النسخة (ط)

فتحوا على انفسهم ابواب الفساد والشبهات فسدوا على الهدى سبيل
الشهوات وغلبت الاهواء على عقولهم واستحوذ الشيطان على قلوبهم .
وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين ويجزوا اخر ما يفعلونه . ويجازي
ما يعملونه . ورحم الله امرءا سامح بالاغضاء ودامى بالرضا . وعذر
معتصور الباع . وقلة الاطلاع . وشكر ما فيه من حسن التهذيب . ومزيد
التحكيم له ولنا والتقريب . فانه لو اعطى القوس باريها . والمسكن
الدار بانيها . لما عم امتثالها الا الحبر ولا جمع التحبير . ولاحظ بواعث سطوع
الحسن فيها بلا تقصير . ولا عم رواج عود الموالي ولا التحصيل . ولكن
البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعى الهشيم . وصلى الله على
سيدنا محمد وآله عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
وكان الفراغ منه بعد الزوال يوم الاربعاء التاسع عشر من ربيع
النبوي عام سبعة واربعين ومائتين والف . وكتبه عبيد ربه تعالى
احوجهم مبارك بن محمد بن علي السيفلاسني اللمطي لطف الله به
انتفعني بحمد الله الكتاب احتجم لنا الايمان بجاه النبي عليه السلام
فمن بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل واستودع كاتبه
شهادة يمنع بها ربه يوم تزل الجبال التي قال الحق بلا غفرانه ليوم
المعاد لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير واشهد ان نبينا وسيدنا
ومولانا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله الى يوم
الدين والحمد لله رب العالمين

صورة الصفحة الثالثة من النسخة (ط)

21409 186

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله ذي العزة والجلال والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي الإفضال
والكمال وعلى آله وأصحابه الحنفاء الأتقياء خير أصحاب وآل وبعد
فهذا المختصر يشتمل على رسوم الخلفاء وآداب خدمتهم والتحية والسلام عليهم
وتقبيل الأرض بين أيديهم وغير ذلك من آداب مجالستهم ومحادثتهم وأنفسهم
وبيان ما يجب عليهم وقد جعلت هذا الكتاب في ثلاثة أبواب ومن الله نستمد
الإعانة فلا قوة إلا به ولا اتكال إلا عليه الباب الأول في آداب خاصة الملوك
وجلسائهم وغلمانهم الباب الثاني في آداب الملوك في أنفسهم وما يجب عليهم
الباب الثالث فيما لا يسع الملوك والرؤساء جهله من أنواع العلوم الباب
الأول في آداب خاصة الملوك فنقول بعون الله اعلم أن الله تعالى جعل شأن ١١٥
الإمامة وبعد سلطان الخلافة وإن الملوك خلفاء الأنبياء وبهم صلاح العالم وهو
عظم ما أوجب الله تعالى في حق الأنبياء صلوات الله عليهم من التبجيل والتعظيم
والتوقير والتكريم كما قال في حق نبينا عليه الصلاة والسلام يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي وأنتم لا تشعرون وإن جعلها بلغ قوة عند الله أن يحبط أعمال
المسلمين لأجل رفع الصوت عنده لتعظيم الحق وجليل القدر فلأنه صلى الله عليه وسلم
لا يجوز لأحد أن يرفع صوته عنده ولا يناديه من وراء الحجرات ولا أن يناديه باسمه
فيقول يا محمد بل يا نبي الله ويا رسول الله وهو من باب التعظيم والتبجيل وتعظيم
الملوك من هذا القبيل وذلك أن الله تعالى اختار من بني آدم فريقين وفضلهما على خلقه
وهما الأنبياء والملوك فأما الأنبياء فإنه أرسلهم ليبينوا للعباد الدليل
ويوضحوا النهج الذي يعرف منه السبيل وأما اختيار الملوك فليحفظوا العباد من جور
بعضهم على بعض وملكهم أزمة الإبرام والنقض وربط بهم مصالح خلقه في معاشهم

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ط)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبيء بعده هذه أحرف يسيرة فيها علوم غزيرة سميتها برد التشريك في مسألة التفليس جعلها الله تعالى خالصة لوجهه الكريم وموجبة رضوانه العميم انه ذو الطول العريض والفضل الغزير عليه توكلت وهو حسبي ولا زيد اعلم ان مسألة التفليس لا يتضح امرها الا بخمسة امور احدها هل التفليس شرعي او عقلي والجواب انه شرعي قال الغزالي رضي الله عنه في الاقتصاد والتفرقة بدليل ان فيه حكمين احدهما في الدنيا وهو الحكم بإباحة دمه وماله وولده وثانيهما في الآخرة وهو الحكم بخلوده في النار وكل من هذين الحكمين لا يتلقى الا من الشرع العزيز فتبين ان التفليس شرعي لا عقلي خلافا للمعتزلة الذين يحكمون العقل وينسبون اليه سائر الاحكام وقاله ايضا الابياري وابن الشاط وغيرهم من الفحول رضي الله تعالى عنهم ثانيها اذا ثبت ان التفليس شرعي فما ضابط ما يكفر به الشرع وجوابه ان ذلك بثلاثة امور الاول ما كان نفس اعتقاده كفرا كاعتقاد انه تعالى عن ذلك علوا كبيرا اعلوا كبيرا عاجز او جاهل او حيث او معه شريك الى غير ذلك مما ينافيه الجزء الاول من كلمة التقوى الثاني ما فيه تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم كاعتقاد انه صلى الله عليه وسلم ونزب وكذ

(الصفحة الأولى)

صورة الصفحة الأولى من النسخة (م)

بنقير ولا قطمير، ولا عروا في عراء المعالي ولا الصميم، ولكن
للبلاد إذا اقشعرت، وضوح نبتها رعي الهشيم، وصلى الله على
سيدنا محمد وآله عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
وكان الفراغ من نسخها لما بالأصل بعد الزوال يوم الأربعاء التاسع عشر
من ربيع النبوي عام سبعة وأربعين ومائة وألف فالله وكتبه عبد
ربه تعالى أحمد بن مبارك بن محمد بن علي السجلماسي اللمطي لطف الله
به انتهى رحمه الله تعالى ونفع به آمين

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (م)

النص المحقق:

رد التشديد

في مسألة التقليد

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا ومولانا[١٦٣] محمد وآله.

(يقول أفقر العباد، إلى رحمة مولاه يوم التناد، أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي رحمه الله ورضي عنه)[١٦٤].

الحمد للّه وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده.

هذه حروف[١٦٥] يسيرة، فيها علوم غزيرة، سميتها بـ: رد التشديد في مسألة التقليد. جعلها اللّه تعالى خالصة لوجهه الكريم، وموجبة لرضوانه العميم. إنه ذو الطول المديد، والفضل العديد. عليه توكلت فهو حسبي ولا أزيد.

اعلم أن مسألة التقليد لا يتضح أمرها إلاّ بخمسة أمور:

أحدها: هل التكفير شرعي أو عقلي؟

والجواب أنَّه شرعي. قال الغزالي رضي اللّه عنه في «الاقتصاد»[١٦٦] و«التفرقة»[١٦٧]: بدليل أن فيه حكمين: أحدهما في الدنيا؛ وهو الحكم بإباحة دمه وماله وولده. ثانيهما في الآخرة: وهو الحكم بخلوده في النار.

وكل من هذين الحكمين لا يُتلقى إلاّ من الشرع العزيز. فثبت أن التكفير شرعي لا عقلي، خلافا للمعتزلة الذين يحكمون العقل وينسبون إليه سائر الأحكام.

---

(١٦٣) ساقطة من م وط.

(١٦٤) ما بين المعقوفتين ساقط من ل و م.

(١٦٥) في ل: حرف، وفي م: أحرف.

(١٦٦) الاقتصاد في الاعتقاد ص٢١؛ حيث يقول الغزالي في بيان من يجب تكفيره من الفرق: «فاعلم قبل كل شيء أن هذه مسألة فقهية؛ أعني الحكم بتكفير من قال قولا، وتعاطى فعلا. فإنها تارة تكون معلومة بأدلة سمعية، وتارة تكون مظنونة بالاجتهاد. ولا مجال لدليل العقل فيه البتة. ولا يمكن تفهيم هذا إلاّ بعد تفهيم قولنا: إن هذا الشخص كافر. والكشف عن معناه. وذلك يرجع إلى الإخبار عن مستقره في الدار الآخرة، وأنه في النار على التأبيد. وعن حكمه في الدنيا؛ وأنه لا يجب القصاص بقتله، ولا يمكن من نكاح مسلمة، ولا عصمة لدمه وماله». والمؤلف نقل بالمعنى.

(١٦٧) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص١٩٧. قال الغزالي: «ولا ينبغي أن يظن أن التكفير ونفيه ينبغي أن يدرك قطعا في كل مقام. بل التكفير حكم شرعي، يرجع إلى إباحة المال، وسفك الدم، والحكم بالخلود في النار». وانظر أيضاً ص١٣٤، ٢١٠ من «التفرقة».

وقاله أيضاً الأبياري[١٦٨]، وابن الشاط[١٦٩] وغيرهم من الفحول رضي اللّه تعالى عنهم.

ثانيها: إذا ثبت أن التكفير شرعي، فما ضابط ما يكفر به في الشرع؟

وجوابه أن ذلك بثلاثة أمور:

الأول: ما كان نفس اعتقاده كفرا؛ كاعتقاد أنّه - تعالى عن ذلك علوا كبيرا - عاجز، أو جاهل، أو ميت، أو معه شريك، إلى غير ذلك مما يناقض الجزء الأول من كلمة التقوى[١٧٠].

الثاني: ما فيه تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم، كاعتقاد أنّه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ليس برسول، أو[١٧١] لم يرسل لجميع العالمين، إلى غير ذلك مما يناقض الجزء الثاني من كلمة التقوى؛ التي هي قولنا: لا إله إلاّ اللّه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١٦٨) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن علي الأبياري. إمام عالم. برع في الفقه والأصول والكلام. له شرح نفيس على برهان إمام الحرمين. توفي سنة ٦١٦هـ.
ترجمته في: الديباج ١٢١/٢-١٢٢، حسن المحاضرة ٤٥٤/١-٤٥٥، الشجرة ١٦٦/١، الفكر السامي ٢٣٠/٢.

(١٦٩) أبو القاسم قاسم بن عبدالله بن محمد بن الشاط، الأنصاري السبتي. إمام في الفقه والأصول. حسن المشاركة في العربية. ريان من الأدب. له مؤلفات حسنة. مولده بسبتة عام ٦٤٣هـ، وتوفي بها عام ٧٢٣هـ.
مترجم له في: الديباج ١٥٢/٢-١٥٣، الشجرة ٢١٧/١، فهرس الفهارس ٤١٢/٢، الفكر السامي ٢٣٩/٢.

(١٧٠) وهي الكلمة التي يتقى بها الله. وأعلى أنواع هذه الكلمة هي قول: لا إله إلاّ الله. والجمهور على أنها المراد - كما سيذكر المصنف قريبا - وكل كلمة يتقى الله بها بعدها فهي من كلمة التقوى.
وقد أخرج الترمذي عن الحسن بن قزعة البصري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وألزمهم كلمة التقوى». قال: لا إله إلاّ اللّه.
وورد في كلمة التقوى غير هذا: فعن علي، وابن عمر، هي: لا إله إلاّ اللّه واللّه أكبر. وعن ابن عباس هي: شهادة أن لا إله إلاّ اللّه. وهي رأس كل تقوى. وعن عطاء، ومجاهد، وقتادة، هي: لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول الله. وعن سعيد بن جبير: هي لا إله إلاّ اللّه والجهاد في سبيله.
انظر: جامع البيان للطبري ١٠٤/١٣-١٠٦، تفسير ابن كثير ١٩٦/٤-١٩٧، شفاء العليل لابن القيم ص١٠٨.

(١٧١) في ب: أو أنه.

الثالث: ما اجتمعت[172] الأمة على أنَّه لا يصدر إلاّ من كافر: كالسجود للصنم تعظيما له واختيارا. وغير ذلك من الأقوال المقتضية للكفر؛ كالقول[173] بقِدَم العالَم والأفعال التي تتضمنه - أي الكفر - كالتردد للكنائس تعظيما، ولبس الزنار، ونحو ذلك.

هذا معنى ما ذكره الفحول[174]؛ كالغزالي، والأبياري، والباقلاني، وعياض، وعز الدين بن عبدالسلام، وغيرهم، رضي الله عنهم، والله أعلم.

ثالثها: إذا ثبت ذلك[175]؛ فليس اعتقاد المقلد الاعتقاد الصحيح المطابق للواقع بواحد من هذه الثلاثة. فإنَّه لم يعتقد في الحق سبحانه إلاّ الحق، ولا في الرسول صلى الله عليه وسلم إلاّ الصدق، ولا أتى أمرا اجتمعت الأمة على أنَّه لا يصدر إلاّ من كافر.

فثبت أن المقلد ليس بكافر على[176] قواعد الشريعة المطهرة. ولا يصح تكفيره إلاّ على مذهب المعتزلة الذين يرون أن التكفير عقلي، وينسبون سائر الأحكام إلى العقل، ويُعْرِضون عن الشرع، ويرون أن شكر المنعم واجب بالعقل، وأن الإيمان من جملته واجب بالعقل، وأن الإيمان هو المعرفة الكائنة عن الدليل والبرهان، وأن كل ما لم يكن عن دليل ولا برهان فليس بمعرفة، فليس بإيمان، فيكون كفرا. فيكون المقلد كافرا.

فمن كفَّر المقلد فقد مر على مذهبهم، حتى قيل إن مسألة تكفير المقلد بقيت[177] في

(172) في ب: ما أجمعت.

(173) في م: كالكفر.

(174) هذا الضابط على قواعد المرجئة لا على قواعد السلف؛ لأن مناط التكفير عندهم هو التكذيب فقط. ولهذا لا يكون الفعل كفرا عندهم إلاّ إذا تضمن التكذيب، سواء في توحيد الله تعالى، أو قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. بينما الكفر عند السلف؛ كفر تكذيب - وهو قليل -، وكفر إباء واستكبار - وهو الكفر العملي الغالب على بني آدم.
فالأول كاعتقاد كذب الرسول، أو جحد صدقه باللسان. وهو نادر الوقوع في الناس؛ لأن دعوة الرسل وأحوالهم وآياتهم تضطر الناس إلى التصديق بما معهم من الحق. والثاني كالامتناع عن الانقياد للحق الذي جاءت به الرسل. انظر: ضوابط التكفير عند أهل السُّنة والجماعة ص١٨٤، الوعد الأخروي: شروطه وموانعه ٢/٧٧١ وما بعدها.

(175) إذا كان الأصل غير تام، فما فرع عليه غير تام أيضاً.

(176) في ل: عن، والتصحيح من: ب و م و ط.

(177) في ل وم: بقية. والتصحيح من ب و ط، وفتح الباري ١٣/٣٦١ (ط. الريان).

مذهب أهل السنة[١٧٨] من عقيدة المعتزلة. قاله أبو جعفر السمناني[١٧٩] - وكان طودا من أطواد الأشاعرة-. نقله عنه أبو الوليد الباجي، وأبو الوليد الطرطوشي[١٨٠].

قلت: وهو صحيح، وإن[١٨١] الشيخ الأشعري رضي الله عنه مر في تفسير الإيمان على مذهب الصالحي[١٨٢] من المعتزلة واختاره، كما نص على ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب «الاجتهاد»، والأستاذ أبو بكر بن فورك[١٨٣] في كتابه الذي جمع فيه مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه.

---

(١٧٨) يطلق على الأشاعرة أهل السنة، مع أنهم مخالفون لأهل السنة في أمهات مسائل العقيدة إلا الإمامة والخلافة.

(١٧٩) هو العالم الفاضل الثقة، أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد السمناني. برع في الكلام. وتخرج به في العقليات أبو الوليد الباجي.

ترجمته في: تَبيِّن كذب المفتري ص٢٥٩، السير وحواشيه ١٧/٦٥١-٦٥٢.

(١٨٠) المعروف بهذه النسبة هو: الحافظ الإمام المحدث، أبو بكر محمد بن الوليد بن سليمان بن أيوب الفهري، الطرطوشي. رحل إلى العراق بعد أن تفقه بالأندلس، وأخذ عن علمائه. وتخرج به أئمة. توفي بثغر الإسكندرية في جمادى الأولى عام ٥٢٠هـ.

والذي يكنى بأبي الوليد، شيخه أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي المتقدم. فلعل الأمر اختلط على المصنف، فأعطى كنية الأستاذ لتلميذه، أو لعل «أبو الوليد» حرفت من «ابن الوليد».

والطرطوشي - بضم الطاءين، بينهما راء ساكنة، وشين معجمة - نسبة إلى طرطوشة؛ وهي مدينة من آخر بلاد الأندلس. انظر: وفيات الأعيان ٣/٣٩٥.

وضبطها ياقوت في معجم البلدان ٣/٥٢٩ بفتح الطاء، وقال: مدينة بالأندلس تتصل بكور بلنسية؛ وهي شرق بلنسية وقرطبة، قريبة من البحر.

(١٨١) في ب: فإن.

(١٨٢) هو أبو الحسين محمد بن مسلم الصالحي المعتزلي. ترجم له في طبقات المعتزلة باقتضاب فقال: «وكان عظيم القدر في الكلام، وكان يميل إلى الإرجاء. وله في ذلك مناظرات مع أبي الحسين الخياط». طبقات المعتزلة ص٧٢.

ونقل عنه أبو الحسن الأشعري في المقالات (ط. محمد محيي الدين عبدالحميد) في مواضع من ج١ ص٢١٤، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٧٢، ٢٧٣. وناقشه أبو المعين النسفي في تبصرة الأدلة (ط. المعهد العلمي الفرنسي. دمشق، ١٩١٢) وذلك في ص: ١٩٠، ١٩١، ٢٣١، ٢٥٧، ٧٦٤، ٧٩٩.

(١٨٣) هو الأديب النحوي المتمكن، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني. رأس في فن الكلام والأصول. مصنف مكثر. توفي سنة ٤٠٦هـ، وقبره بنيسابور.

ترجمته في: التبصير في الدين ص١١٩-١٢٠، تبيين كذب المفتري ص٢٣٢، إنباه الرواة ٣/١١٠، وفيات الأعيان ٤/٢٧٢، السير وحواشيه ١٧/٢١٤-٢١٦.

وعبارة الأستاذ: «وحكى - أي الأشعري - في بعض كتبه[184] عن أبي الحسن[185] المعروف بالصالحي أنَّه كان يقول: إن الإيمان خصلة واحدة؛ وهو المعرفة بالله...»[186]، إلى أن قال: «وإن الجهل بالله هو [بغض له واستكبار عليه واستخفاف به، وإن الجهل بالله هو][187] الكفر به». ثمَّ قال بعد ذلك أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى: «والذي أختاره من الإيمان ما ذهب إليه الصالحي»[188]. مع[189] أن الإيمان الشرعي خصال متعددة عديدة كما في شرح النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لسيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام في حديث جبريل المعروف[190].

---

(١٨٤) وهو في مقالات الإسلاميين ٢١٤/١.

(١٨٥) هكذا في الأصل، وهو تحريف. وكنيته كما في طبقات المعتزلة ص٧٢، ومقالات الأشعري ٢١٤/١ وما بعدها، ومجرد مقالات الأشعري لابن فورك ص١٥١: أبو الحسين.

(١٨٦) هذا قول الجهمية الغلاة في تفسير الإيمان، فإنهم يفسرون الإيمان بمجرد المعرفة القلبية، فيلزمهم أن إبليس مؤمن؛ لأنه عارف بقلبه: (رب بما أغويتني)، ويلزمهم ان أبا طالب كان مؤمنا؛ لأنه يقول: ولقد علمت بأن دين محمد خير أديان البرية دينا.

فالإيمان عند أهل السُّنة والجماعة قول وعمل يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات، وينقص بالمعصيات.

انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي ١٥١/١-١٥٢، التمهيد لابن عبدالبر ٢٣٨/٩، مجموع الفتاوى ٣٠٨/٧-٣١٢، ٥٠٥.

(١٨٧) ما بين المعقوفتين ساقط من ل و م و ط.

(١٨٨) مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري لابن فورك ص١٥١.

هذا، وقد اشتهرت هذه المقالة عن الأشعري؛ أي إن إيمان المقلد لا يصح. وقد أنكر أبو القاسم القشيري صحة ذلك عنه في رسالته شكاية أهل السنة، بحكاية ما نالهم من المحنة»، واعتبره كذبا وزورا. (والرسالة مطبوعة في طبقات الشافعية الكبرى ٣٩٩/٣-٤٢٣).

ونقل الزركشي في البحر ٢٧٨/٦-٢٧٩ عن أبي القاسم القشيري، والشيخ أبي محمد الجويني، وغيرهما من المحققين ان ذلك مكذوب على الشيخ الأشعري.

وأَوَّلَهُ بعضهم بأن مراده بذلك - حتى لو صح عنه -: قبول قول الغير بغير حجة. فإن التقليد بهذا المعنى قد يكون ظنا، وقد يكون وهما. فهذا لا يكفي في الإيمان.

(١٨٩) في م: من، ولا يستقيم بها المعنى.

(١٩٠) هو في هذا الكلام لم يخرج عن مذهب الأشاعرة، لأن الإيمان عندهم شيء واحد فقط هو التصديق.

وقال في آخره: «ذلك جبريل جاء يعلمكم دينكم»[١٩١]، والله أعلم.

وكما أن المقلد ليس بكافر فليس بعاص أيضاً بترك النظر؛ لأن أدلة وجوب النظر نحو قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا ﴾[١٩٢] الآية ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا ﴾[١٩٣] ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا ﴾[١٩٤] ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾[١٩٥]، ونحوها كلها في الكفرة الذين يعتقدون ضد الحق. فأمروا بالنظر ليرجعوا عن مذهبهم الباطل. لا فيمن اعتقد الحق من عامة المؤمنين.

نص عليه الحافظ ابن حجر[١٩٦]، والقرطبي[١٩٧]، والقاضي عياض[١٩٨]، وغيرهم.

---

(١٩١) وهو حديث عبدالله بن عمر، عن أبيه عمر، قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر. لا يرى عليه أَثَرُ السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فأسند ركبتيه إلى ركبتيه. ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتقيم الصلاة. وتؤتي الزكاة. وتصوم رمضان. وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنّه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل». قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: «أن تلد الأمة ربتها. وأن ترى الحفاة العراة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان». قال: ثُمَّ انطلق، فلبثتُ ملياً، ثُمَّ قال لي: «يا عمر! أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنَّه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم».

أخرجه مسلم في الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم(١)، واللفظ له. وأبو داود في السنة - باب في القدر، رقم (٤٦٩٥)، والترمذي في الإيمان - باب ما جاء في وصف جبريل للنبي الإيمان والإسلام رقم (٢٦١٠). وابن ماجه في المقدمة - باب في الإيمان، رقم (٦٣). والنسائي في الإيمان - باب نعت الإسلام، رقم (٥٠٠٥).

(١٩٢) ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة يونس: ١٠١.

(١٩٣) ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ من الآية ١٨٥ من سورة الأعراف.

(١٩٤) ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا ٱلْأَرْضَ ﴾ من الآية ٩ من سورة الروم.

(١٩٥) ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ من الآية ٨ من سورة الروم.

(١٩٦) في فتح الباري ٣٦٤/١٣.

(١٩٧) المفسر في الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/٨، أو شارح مسلم في المفهم ١٤٥/١-١٤٦.

(١٩٨) في إكمال المعلم ٤٦٧/٢.

قالوا: لأن الأخبار تواترت تواترا معنويا على أنَّه صلى الله عليه وسلم لم يزد على أن دعا الخلق إلى الشهادتين(١٩٩) وعبادة الله عز وجل فقط. ما دعا أحدا ممن(٢٠٠) آمن إلى نظر واستدلال(٢٠١).

رابعها: هل علم الكلام رافع للتقليد أم(٢٠٢) ليس برافع؟

والجواب أنَّه ليس برافع للتقليد؛ لأن أدلته لا ينتهي جميعها إلى المشاهدة أو الضرورة(٢٠٣). فإن كثيرا من أدلته يرجع إلى قواعد غير مشاهدة ولا ضرورية؛ مثل أن القبول نفسي أو ليس بنفسي، وتنبني عليه قواعد عقائد كثيرة. ومثل أن السكون وجودي أو عدمي، وهل بينه وبين الحركة واسطة أم لا؟ وينبني على ذلك عقيدة عظيمة. ومثل أن العرض يبقى زمانين أو لا يبقى(٢٠٤). ومثل أن الحال لا موجودة ولا معدومة. ومثل أن الوجود عين الموجود(٢٠٥) أو زائد عليه. ومثل أن الوجود هو المصحح(٢٠٦) للرؤية.

---

(١٩٩) هذا ينقض حصر وجوب النظر على الكفار؛ لأن معناه أن أول واجب هو الشهادة مطلقا. وهذا هو الصحيح. فالنظر أو القصد إلى النظر كلها ليست أول واجب؛ وإنما هي أمور مشروعة قبل الإيمان وبعده لتأثير الإيمان وتقويته، ومعرفة صفات الرب، وغير ذلك من قرائن النظر.

(٢٠٠) في م: عن، لا يستقيم بها المعنى.

(٢٠١) يشير إلى ما ثبت عنه عليه السلام من أنَّه كان يكتفي من الأعراب بالتصديق مع العلم بقصورهم عن معرفة النظر والأدلة. ففي صحيح مسلم - كتاب المساجد. باب تحريم الكلام في الصلاة. رقم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي في الجارية التي أراد عتقها. وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: «ائتني بها. قال: فأتيته بها. فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها. فإنها مؤمنة».

والحديث دليل على الاكتفاء بالشهادتين في صحة العقيدة، وإن لم يكن عن برهان ونظر واستدلال. إذ لم يسألها النبي صلى الله عليه وسلم: من أين علمت ذلك؟ قال النووي في شرحه على مسلم ٢٥/٥: «وهذا هو الصحيح الذي عليه الجمهور».

راجع: إكمال المعلم ٤٦٦/٢-٤٦٧، المفهم ١٤٥/٢-١٤٦، النووي على مسلم ٢٤/٥-٢٥.

(٢٠٢) في ب: أو.

(٢٠٣) في ل و م: والضرورة.

(٢٠٤) الأشعري ومن تابعه على أن العرض لا يبقى زمانين: لأن الأعراض مبناها على التقضي والتجدد، وتخصيص كل بوقته للقادر المختار. وقالت الفلاسفة ببقاء الأعراض.

(٢٠٥) في ب: الوجود، وفي ط: ومثل أن الموجود عين الوجود.

(٢٠٦) في ل و م: الصحيح.

ومثل إبطال الوجود الذهني. ومثل إبطال أن العلم انطباع الصورة، إلى غير ذلك من الأمور المذكورة في علم الكلام التي ينبني عليها كثير من أدلته[٢٠٧]، حتى قال أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه: إن كثيرا من أدلة علم الكلام جدلية لا برهانية.

وإذا كانت أدلة علم الكلام بهذه المثابة، لزم أنَّه غير رافع للتقليد؛ لأن الأمور المذكورة لابد أن تُؤْخَذَ مسلمة، وذلك عين التقليد.

وأشار إليه القرطبي[٢٠٨] شارح مسلم، نقله عنه الحافظ ابن حجر[٢٠٩]. وأشار إليه الغزالي في كثير من كتبه كـ«المستصفى»[٢١٠]، و«المنقذ من الضلال»[٢١١]، و«الاقتصاد»[٢١٢]، وغيرها. حتى قال في «التفرقة»[٢١٣]: ولعلك إن أنصفت علمت أن مَنْ[٢١٤] جعل الحق وقفاً[٢١٥] على واحد من النظار بعينه فهو إلى الكفر والتناقض أقرب.

أما الكفر: فلأنه أنزله منزلة النبي المعصوم الذي لا يثبت الإيمان إلاّ بموافقته.

وأما التناقض: فهو أن كل واحد من النظار يحرم التقليد. فكيف يقول: يجب عليك النظر مع تقليدي، أو يجب عليك أن تنظر ولا ترى في نظرك إلاّ ما رأيت. فكل ما رأيتُه حجة فعليك أن تراه حجة. وما رأيتُه شبهة فعليك أن تعتقده شبهة. وأي فرق بين من يقول: قلدني في (مجرد مذهبي، وبين من يقول: قلدني في)[٢١٦] مذهبي، ودليلي معا[٢١٧].

---

(٢٠٧) هذه كلها قواعد كلامية خطيرة ينبني عليها ضلالات عقدية خطيرة.

(٢٠٨) في كتابه: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦/٦٩٠-٦٩١.

(٢٠٩) في فتح الباري ٣٦٢/١٣.

(٢١٠) راجع: المستصفى من علم الأصول ١١/٤.

(٢١١) راجع: المنقذ من الضلال ص٩٤-٩٩.

(٢١٢) راجع: الاقتصاد في الاعتقاد ص٧٧-٧٨.

(٢١٣) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص١٣٣.

(٢١٤) ساقطة من م.

(٢١٥) في ب: متوقف.

(٢١٦) ما بين المعقوفتين ساقط من: ل و م و ط.

(٢١٧) في فيصل التفرقة: «وأي فرق بين من يقول: قلدني في مذهبي، وبين من يقول: قلدني في مذهبي ودليلي جميعا. وهل هذا إلاّ التناقض».

يعني أن كل واحد من النظار يحرم التقليد ويوجبه، وذلك تناقض. وهم وإن أوجبوا النظر فإنما أوجبوه على تحجير وتقليد. فقد وقعوا في التقليد الذي فروا منه. فإن كل فريق من النظار إنما يأمر من يأمره بالنظر على شرط أن يوافقه. فإن خالفه كان هالكا عنده. فهذا أَمْرٌ له بالتقليد لأهل ذلك الفريق، ولزوم متابعتهم في طريقتهم لئلا يهلك مع الهالكين في زعمه. فالناظر على هذا الطريق إذا رام تكفير المقلد، فإنما يروم تكفير نفسه؛ لأنّه من المقلدين وهو لا يشعر. والله أعلم.

وقال في «المنقذ من الضلال»[٢١٨]: ثمَّ إني ابتدأت بعلم الكلام فحصَّلته، وطالعت كتب المحققين منهم. وصنَّفت فيه ما أردت أن أصنف. فصادفتُه علما وافيا بمقصوده، غير واف بمقصودي. فمقصوده حفظ عقيدة[٢١٩] أهل السنة: التي ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، كما نطق به القرآن والأخبار. فألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة، فلهجوا بها، وكادوا[٢٢٠] يشوشون عقيدة أهل الحق. فكشف المتكلمون من أهل السنة عن تلبيساتهم. فنشأ علم الكلام وأهله.

فقاموا رضي الله تعالى عنهم بما يجب في ذلك. ولكنهم اعتمدوا[٢٢١] في ذلك على مقدمات تسلَّموها من خصومهم، اضطرهم إلى تسليمها إما التقليد، أو إجماع الأمة، أو الأخذ من القرآن والأخبار.

وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضة الخصوم، ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم. وهذا قليل النفع في حق من لا يُسلِّم سوى الضروريات.

فلم يكن الكلام في حقي كافيا، ولا له - أي الذي أشكوه - شافيا. إلى آخره[٢٢٢].

---

(٢١٨) ص ٩٤-٩٩.

(٢١٩) في ب: حقيقة، وهو تحريف ظاهر.

(٢٢٠) في ل: وعادوا.

(٢٢١) في ل و م: اعتقدوا، والتصحيح من: ب، والمنقذ ص٩٩.

(٢٢٢) تصرف المصنف كثيرا في النص حذفا واختصارا.

خامسها: أنك إذا حققت عقائد التوحيد وجدتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام[٢٢٣].

أحدها: ما يؤخذ من العقل[٢٢٤].

ثانيها: ما يؤخذ من النقل[٢٢٥].

ثالثها: ما يصح فيه الأمران[٢٢٦].

ولا يحتاج إلى علم الكلام إلاّ في القسم الأول الذي هو مصححات الفعل من وجود وَقُدرة وإرادة وعلم وحياة. فهذه الصفات لا يمكن أخذها من الشرع[٢٢٧]، وإلا لزم عليه الدور؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون قوله لازماً حتى يثبت صدقه. ولا يثبت صدقه حتى تثبت المعجزة. ولا تثبت المعجزة حتى يثبت الفعل لله عز وجل. ولا يثبت الفعل لله عز جل حتى تثبت مصححات الفعل. فلو توقف[٢٢٨] ثبوتها على قول الرسول صلى الله عليه وسلم لزم الدور. وإذا صح إثبات هذه الصفات له تعالى من طريق أخرى مخالفة لعلم الكلام، لم يحتج لعلم الكلام أصلا.

---

(٢٢٣) هذا التقسيم يقتضي أن أدلة القرآن ليس فيها أدلة عقلية، مع أنها مشتملة على أمهات البراهين القطعية. وقد علق الإمام ابن تيمية عليه بقوله: «وهذا التقسيم حق في الجملة؛ فإن من الأمور الغائبة عن حس الإنسان ما لا يمكن معرفته بالعقل، بل لا يعرف إلاّ بالخبر». (درء تعارض العقل والنقل ١/١٧٨).

غير أنّه إذا فُهم عُرفت خطورته؛ فما يؤخذ من العقل يقصدون به الصفات العقلية دون الخبرية، وما يؤخذ من النقل يقصدون به السمعيات. وهذا غير صحيح؛ لأن المعاد يدل له العقل أيضاً.

وما يصح فيه الأمران يقصدون به الرؤية. ففي باب الرؤية جعلوا العقل مساويا، وفي السمعيات جعلوا العقل عاطلا، وفي الإلهيات جعلوا العقل حاكما.

(٢٢٤) نحو حقائق الأشياء، كإدراك استحالة المستحيلات، وجواز الجائزات، ووجوب الواجبات العقلية لا التكليفية.

(٢٢٥) مثل جملة الأحكام الشرعية التي منها التحسين والتقبيح، والوجوب، والندب، والإباحة، والحظر، إلى غيره من مجاري الأحكام الشرعية.

(٢٢٦) مثل كل علم لا يتعلق بأحكام التكاليف ولا يتوقف التوحيد والنبوة على الإحاطة به؛ وذلك نحو إدراك جواز الرؤية، والعلم بجواز الغفران للمذنبين، والعلم بصحة التعبد بالعمل بخبر الواحد والقياس.

(٢٢٧) في م: من الشرح. ولا يستقيم به المعنى.

(٢٢٨) في ل: توقفت.

وهذه الطريقة هي البداهة والضرورة التي قضى بها الأثر. فإن دلالة الأثر على المؤثر ضرورية مركوزة حتى في فطرة الصبيان والبهائم فضلا عن غيرهم.

وقد نصَّ على ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني، كما نقله عنه ابن التلمسانى[٢٢٩] في «شرح المعالم». ونصَّ عليه الفخر، ولا يحتاج إلى نص. فقد سألنا عنه - ولله الحمد - صغار الصبيان وضعفة العقول من العبيد والنسوان، فجزموا به بداهة، واستبشعوا السؤال عنه لبداهته.

وما من عاقل عاقل ينظر إلى دار مبنية، حسنة البناء، حسنة الصنعة، رقيقة النقش، وثيقة المادة، رشيقة الصورة، إلاّ ويرحم بانيها، ويشهد له بتمام الصنعة، وحسن المعرفة، ونفوذ القدرة، ومتانة العلم. فكيف لو[٢٣٠] نظر إلى دار[٢٣١] ذاته التي أخذ ترابها وعمدها وخشبها وجيرها وحبالها وكل ما يدخل فيها من نطفة من ماء مهين. فإن من النطفة تصور عظمه ولحمه ودمه، وعروقه ورباطاته، وأوردته وشعره وبشره، وسمعه وبصره، وشمه وذوقه، وفهمه ومنطقه. ولو أن الخلائق بأجمعهم اجتمعوا على أن يبنوا دارا تكون مادتها مأخوذة من مجرد الماء؛ حتى يأخذوا [ترابها][٢٣٢] من ذلك الماء، ويأخذوا منه حجرها، ويأخذوا منه جيرها، وكل ما يدخل في مادتها، لظهر[٢٣٣] عجزهم. فسبحان الملك الخلاق.

فكيف ولو نظر العاقل إلى عجائب التشريح التي في عينه وأنفه ورأسه، وظهره وفقراته وصدره، وما احتوى[٢٣٤] عليه باطنه من عجائب التشريح، لامتلأ قلبه إيمانا وابتهاجا وسرورا بمعرفة ربه عز وجل.

قال أبو حامد رضي الله تعالى عنه: ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الأعضاء

---

(٢٢٩) هو الفقيه الأصولي، عبدالله بن محمد بن علي، أبو محمد شرف الدين الفهري التلمساني. شافعي المذهب، صنف في الفقه والأصول. توفي بمصر عام ٦٤٢هـ.

انظر: طبقات الشافعية للأسنوي ٣١٦/١، الأعلام ١٢٥/٤.

(٢٣٠) في م: إذا.

(٢٣١) في ب: ذات ذاته.

(٢٣٢) ساقط من: م و ل.

(٢٣٣) في د: اظهر، وهو خطأ.

(٢٣٤) في د: وما استوى، وهو تحريف.

مطالع، إلاّ ويحصل له العلم الضروري بكمال تدبير الباني[٢٣٥] لبنية الحيوان لاسيما بنية الإنسان.

وفي «الحلية»[٢٣٦]: عن جعفر الصادق[٢٣٧]، عن أبيه، عن جده[٢٣٨]، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله جعل لابن آدم الملوحة في العينين: لأنهما شحمتان(٢٣٩)، ولولا ذلك لذابتا. وجعل المرارة في الأذنين حجابا من الدواب. فإنّه ما دخلت الرأس دابة إلاّ التمست الوصول إلى الدماغ. [فإذا ذاقت المرارة التمست الخروج. وجعل الحرارة في المنخرين يستنشق بهما[٢٤٠] الريح][٢٤١]، لولا ذلك لأنتن الدماغ. وجعل العذوبة في الشفتين يجد بهما طعم كل شيء. ويسمع النَّاس [بها][٢٤٢] حلاوة منطقه.

ومثل ذلك يحصل للناظر إذا تأمل في عجائب الأرض وغرائبها، وما فيها من بر وبحر، وما في كل منهما من الحيوانات التي لا يحيط بعلمها إلا الله عز وجل.

وكذا إذا نظر في عجائب السماوات ونجومها، وشموسها وأقمارها، وسيرها ومطالعها، وملائكتها والخلائق التي فيها، لعلم يقينا أن لها صانعا حكيما. فينظر إلى السماء واقعة على الأرض كأنها خيمة عظيمة لا نهاية لها. فيها سراج منير يضيء بالنهار على أهل الخيمة. وسرج كبيرة وصغيرة تضيء بالليل على أهلها. وتأمل في قدر[٢٤٣] الخيمة، وعظمها، وعلو سمكها، وسعة دائرتها، ودخول جميع المخلوقات في

---

(٢٣٥) في ل: الباجي، ولا معنى له.

(٢٣٦) حلية الأولياء لأبي نعيم ١٩٧/٣.

(٢٣٧) هو الإمام الهاشمي العلوي المدني، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أحد الأئمة الأعلام، الفقيه العالم، الثقة الصدوق، أكثر عن أبيه، وحدث عنه الأئمة، وأخرج له البخاري في غير الصحيح.

مترجم له في: الجرح والتعديل ٤٨٧/٢، حلية الأولياء ١٩٢/٣-٢٠٦، السير وحواشيه ٢٥٥/٦، ميزان الاعتدال ٤١٤/١-٤١٥.

(٢٣٨) هذا الإسناد جيد لو صح سماع علي بن الحسين زين العابدين من جده علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(٢٣٩) هكذا في: ب، والحلية ١٩٧/٣. وفي م و ل و ط: شحمات.

(٢٤٠) في ل و م: بها.

(٢٤١) ما بين المعقوفتين ساقط من م.

(٢٤٢) ساقطة من الأصل، ثابتة في الحلية ١٩٧/٣.

(٢٤٣) في ب: في قدرة.

جوفها هم ومواشيهم، وجميع ما يحتاجون إليه من حرث وتجر(٢٤٤) وسير وغير ذلك من الأمور التي لا تحصى؛ فيعلم يقينا أن ذلك تقدير العزيز العليم، المنفرد بالألوهية، سبحانه لا إله إلاّ هو. قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾(٢٤٥). وقال تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾(٢٤٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾(٢٤٧).

وهكذا إذا تتبعت النظر في أجزاء العالم وذرّاته، وجدت جميع ذلك يدل على وحدانية الحق سبحانه. ورحم الله من قال:

وفي كل شيء له آية　　تدل على أنه الواحد(٢٤٨)

وإذا لم تتوقف المصححات للفعل على علم الكلام لحصول معرفتها بداهة من دلالة الأثر باعتراف أكابرهم، ولم يتوقف غيرها عليه باعتراف جميعهم، كان توقف الإيمان على علم الكلام غير متعين ولا لازم؛ لأنّه إذا علم وجود الحق سبحانه، واتصافه بالعلم والقدرة والحياة والإرادة من دلالة الأثر، انتقل إلى معرفة صدق الرسول صلى الله

---

(٢٤٤) التجر: اسم للجمع. وقيل: أصله: تجر يتجر تجرا وتجارة: باع واشترى. ورجل تاجر. والجمع: تجار - بالكسر والتخفيف - وتجار وتجر، مثل صاحب وصحب.
انظر: مادة (تجر) في لسان العرب ٨٩/٤.

(٢٤٥) من الآية ١٠ من سورة إبراهيم.

(٢٤٦) من الآية ٥٧ من سورة غافر.

(٢٤٧) من الآية ٦٤ من سورة البقرة، و١٩٠ من آل عمران.

هذه الأمور لا تدل على مجرد وجود الله فقط، وإنما تدل على ذلك، وعلى صفاته، وعلى المطلوب الأهم: وهو إفراد الله بالعبادة. ففي الاستدلال تقصير كبير، إذ وقف به عندما لا يدخل في الإيمان، ولا تحصل به النجاة.

(٢٤٨) نسب في الوفيات ١٣٨/٧ إلى أبي نواس، وفي تفسير ابن كثير ٥٧/١ والرواية الثانية في الدين الخالص ٣٩٦/٢ لابن المعتز. ونسبه أبو الفرج في أغانيه ٣٥/٤ مع ثلاثة أبيات أخر إلى أبي العتاهية إسماعيل بن القاسم. وهي في ديوانه ص١١٢ مع بيت رابع؛ وهو:

ولله في كل تحريكة　　وفي كل تسكينة شاهد

عليه وسلم بالمعجزة[٢٤٩].

وإذا علم صدقه بها تلقى منه علم الأصول وعلم الفروع. ويكون في ذلك آمنا مطمئنا. لا تعرض له شبهة، ولا يعتريه شك[٢٥٠]. فيتلقى من الرسول صلى الله عليه وسلم ما بقي من العقائد؛ كالقِدَم، والبقاء، والمخالفة، والقيام بالنفس، والوحدانية، والسمع، والبصر، والكلام، وحدوث العالم بأسره، إلى غير ذلك من العقائد التي لا تتوقف[٢٥١] عليها المعجزة.

وعلى هذا كانت القرون الفاضلة؛ مثل القرن الأول والثاني والثالث[٢٥٢] إلى أن ظهرت البدع. ولهذا كانت أدلتهم رضي الله عنهم قريبة المرام، سهلة المأخذ.

ولنذكر منها ما حضر في الحال؛ وذلك عشرة[٢٥٣].

الأول: يروى[٢٥٤] أن بعض الزنادقة أنكر الصانع عند جعفر الصادق. فقال جعفر رضوان الله عليه: هل ركبت البحر؟ قال: نعم. قال: هل رأيت أهواله؟ قال: نعم. هاجت يوما رياح هائلة، فكسرت السفن، وغرقت الملاحين. فتعلقت أنا ببعض ألواحها. ثمَّ ذهب عني ذلك اللوح، فإذا أنا مرفوع[٢٥٥] في تلاطم الأمواج، حتى دفعت إلى الساحل. فقال جعفر: هل كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح، وعلى اللوح؟ وحين ذهبت هذه الأشياء عنك، هل أسلمت نفسك للهلاك؟ أم كنت ترجو السلامة بعد؟ قال: بل رجوت السلامة. قال: ممن رجوت السلامة؟ فسكت الرجل. فقال جعفر: إن الصانع هو الذي كنت ترجو ذلك الوقت. وهو الذي أنجاك من الغرق. فأسلم الرجل على

---

(٢٤٩) المعجزة هي: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة. وهي إما حسية تشاهد بالبصر أو تسمع؛ كخروج الناقة من الصخرة، وانقلاب العصا حيَّة،وكلام الجمادات، ونحو ذلك. وإما معنوية تشاهد بالبصيرة كمعجزة القرآن. أعلام السنة المنشورة ص٩٢.

(٢٥٠) في ل و م و ط: شيء.

(٢٥١) في ل: تتوقف. وهو مغير للمعنى تماما.

(٢٥٢) أبداً لم يكن السَّلف على هذه الصفة؛ إنما كان إيمانهم يبدأ بالنطق بالشهادة ثُمَّ العمل، لا بهذه الطريقة المعقدة.

(٢٥٣) نقل المصنف هذه الحكايات كلها من التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٢/٩٨-١٠٠ على اعتبار أنها طرق لطيفة لعلماء السلف في الاستدلال على وجود الله.

(٢٥٤) في ل: يرون.

(٢٥٥) في ب: مدفوع.

يديه[٢٥٦].

الثاني: أن أبا حنيفة رحمه الله كان شديدا[٢٥٧] على الدهرية[٢٥٨]. وكانوا ينتهزون الفرصة منه ليقتلوه. فبينما هو قاعد في مسجد إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة، وهموا بقتله. فقال لهم: أجيبوني عن مسألة ثمَّ افعلوا ما شئتم. فقالوا: هات. فقال: ما تقولون في رجل يقول: إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة بالأثقال، قد احتوشتها[٢٥٩] في لجة البحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة. وهي من[٢٦٠] بينها تجري جريا سريعا. ليس لها مَـلاَّحٌ يجريها، ولا دافع يدفعها. هل يجوز ذلك في العقل؟ فقالوا: هذا شيء لا يقبله العقل. فقال لهم أبو حنيفة: يا سبحان الله! إذا لم يجز في العقل سفينة تجري من غير ملاح، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغير أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ؟ فبكوا جميعا وقالوا: صدقت. وأغمدوا سيوفهم وتابوا[٢٦١].

الثالث: أن الدهرية سألوا الشافعي رضي الله تعالى عنه على الدليل علىالصانع، فقال: ورقة الفرصاد[٢٦٢]؛ طعمها ولونها وريحها واحد، وطبعها واحد عندكم؟ قالوا: نعم.

---

(٢٥٦) وردت هذه الحكاية بألفاظ قريبة مما ذكر المؤلف هنا في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري، نقلاً عن كتاب: المناظرة للإمام جعفر الصادق ص٢٣.

(٢٥٧) في التفسير الكبير ٢/٩٩: سيفا.

(٢٥٨) الدهرية: فرقة إلحادية، تنكر وجود اليوم الآخر، وما فيه من بعث وحساب وثواب. وترى أن نهاية الإنسان هي موته. ولا تؤمن إلاّ بهذه الحياة.

(٢٥٩) أحاطت بها الأمواج، وأتتها من كل جانب. يقال: احتوش بالشيء: أحاط به. واحتوش القوم فلانا وتحاشوه بينهم: جعلوه وسطهم. واحتوش القوم الصيد وتحاشوه: إذا نفره بعضهم على بعض.

انظر: مادة (حوش) في اللسان ٦/٢٩٠، مختار الصحاح ص١٤٢، القاموس ص٧٦٣.

(٢٦٠) ساقطة من م.

(٢٦١) وردت هذه الحكاية بنصها في التفسير الكبير ٢/٩٩، ووردت بألفاظ متقاربة في: مناقب أبي حنيفة للموفق المكي ص١٥١، ومناقب أبي حنيفة للحافظ الكردري ص٢٢٥، وعيون المناظرات للسكوني ص٢١٤، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٢٥-٣٦، وإشارات المرام للبياضي ص٨٥. وتحكى أيضاً عن غير أبي حنيفة.

(٢٦٢) هي ورق التوت.

قال: فتأكلها دودة[٢٦٣] القز فيخرج منها الإبريسم، والنحل فيخرج منها العسل،والشاة فيخرج منها البعر. وتأكلها الظباء فينعقد في نوافجها المسك. فمن الذي جعلها كذلك مع أن طبعها واحد؟ فاستحسنوا منه ذلك، وآمنوا على يديه وهم سبعة عشر[٢٦٤].

الرابع: سئل أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه[٢٦٥]، فقال: انظروا إلى قلعة ملساء بيضاء[٢٦٦] لا فرجة فيها، ظاهرها كالفضة المذابة[٢٦٧]. وباطنها كالذهب الإبريز. ثمَّ انشقت وخرج منها حيوان سميع بصير[٢٦٨]. فلا بد من الفاعل الذي اعتنى بالقلعة البيضاء، وبالحيوان الفرخ[٢٦٩].

الخامس: سأل هارون الرشيد مالكا رضي الله تعالى عنه عن ذلك[٢٧٠]؛ فاستدل باختلاف الأصوات، وتردد النغمات، وتباين اللغات[٢٧١].

السادس: سئل أعرابي عن الدليل على الصانع، فقال: البعرة تدل على البعير، والروث على الحمير، وآثار[٢٧٢] الأقدام على المسير. فسماء ذات أبراج. وأرض ذات فجاج. وبحار ذات أمواج. أما تدل على العليم القدير[٢٧٣].

---

(٢٦٣) في م: دود.

(٢٦٤) التفسير الكبير ٩٩/٢، ووردت بألفاظ قريبة مما ذكر المصنف في تفسير ابن كثير منسوبة إلى الإمام الشافعيّ ٥٧/١.

(٢٦٥) أي ما الدليل على وجود الصانع؟

(٢٦٦) ساقطة من م.

(٢٦٧) في ب: المذهبة.

(٢٦٨) يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

(٢٦٩) التفسير الكبير ٩٩/٢، ونقل ابن كثير في تفسيره هذه الحكاية منسوبة إلى الإمام أحمد ٥٧/١.

ووردت بألفاظ قريبة مما ذكر المصنف، منسوبة إلى جعفر الصادق في كتاب: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري ٤٥٠/٤.

(٢٧٠) أي ما الدليل على وجود الصانع؟

(٢٧١) التفسير الكبير ٩٩/٢، ونقله ابن كثير في تفسيره عن الرازيّ ٥٧/١.

(٢٧٢) ساقطة من ل.

(٢٧٣) التفسير الكبير ٩٩/٢، وانظر أيضاً: تفسير ابن كثير ٥٦/١، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص٨٣.

السابع: سئل طبيب بم عرفت ربك؟ فقال: بنحلة بأحد طرفيها عسل، وبالطرف الآخر لسع؛ وهو مقلوب عسل[٢٧٤].

الثامن: سئل أبو نواس عنه[٢٧٥] فقال:

تأمل في رياضِ الأرضِ وانظُرْ ... إلى آثارِ ما صَنَعَ المليكُ

عيون من لجين جاريات ... على أطرافها الذهب السبيك

على قضب الزمرد شاهدات ... بأن اللّه ليس له شريك[٢٧٦]

التاسع: سئل طبيب: بم عرفت ربك؟ فقال: بأهليلج[٢٧٧] يجفف الحلق[٢٧٨]، ويلين البطن[٢٧٩].

العاشر: في كتاب ديانات العرب[٢٨٠]؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمران[٢٨١] بن حصين رضي الله عنه: كم لك من إله؟ قال: عشرة. قال: من ترجوه

---

(٢٧٤) التفسير الكبير ٢/١٠٠.

(٢٧٥) أي ما الدليل على وجود الصانع؟

(٢٧٦) التفسير الكبير ٢/٩٩. والأبيات في ديوان أبي نواس - تحقيق: محمود كامل فريد ص٢٧٥ (ولا توجد في ديوانه الذي حققه أحمد الغزالي)، أحسن ما سمعت للثعالبي ص١٠-١١، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤/٢٧٩-٢٨٠، البداية والنهاية لابن كثير ١٠/٢٤٥-٢٤٦، تفسير ابن كثير ١/٥٧، الدين الخالص لمحمد صديق حسن ٢/٣٩٦.

(٢٧٧) في م: بأهليج. والإهليلج - وقد تكسر اللام الثانية -: ثمر: منه أصفر، ومنه أسود - وهو البالغ النضج-، ومنه كابلي، ومنه صيني. ومنافعه كثيرة: يخرج الثفل من البطن، ويحفظ العقل، وينشف، ويقوي الحواس، ويزيل الصداع، وينفع المعدة... انظر: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار ٢/٥٠٢-٥٠٤.

(٢٧٨) في م: الحق، وهو خطأ.

(٢٧٩) التفسير الكبير ٢/١٠٠.

(٢٨٠) كتاب ديانات العرب في جاهليتها، نسبه السجلماسي في كتابه (القول المعتبر ورقة ١٢١) للمسعودي.

(٢٨١) في النسخ كلها: عمران بن حصين، وهو خطأ. بل قال لحصين والد عمران كما في جامع الترمذي.

منهم للأمر العظيم إذا نزل بك؟ قال: الله. قال: مالك إله غيره[٢٨٢].

ولننبه بعد هذا على أمور مهمة، فنقول:

الأول: إن القاضي أبا بكر الباقلاني رضي الله تعالى عنه لما ادعى الضرورة في إثبات المصححات له تعالى عند ظهور الإتقان في الكائنات، وعوَّل في ذلك على حكم البداهة والقطع[٢٨٣] دون إلحاق الغائب بالشاهد، اعترضه الآمدي رحمه الله تعالى في أبكار الأفكار[٢٨٤] «بأن العلم الضروري بذلك وإن كان واقعا في الشاهد جريا على العادة؛ فإن من رأى بناء[٢٨٥] مرتفعا، وصناعة محكمة في الشاهد، اضطره عقله إلى العلم بعلم صانعه وقدرته وإرادته. ولا يلزم ذلك في الغائب، وَإلاَّ اطرد ذلك فيما نعلمه بالضرورة في الشاهد؛ من كون صانع البناء المحكم حيوانا متحركا بالإرادة، متغذيا ناميا مولدا، وليس كذلك.

وأيضا فإنَّه لو خلي الإنسان ودواعي نفسه [من مبدأ نشئه إلى آخر عمره من غير التفات إلى نظر أو تقليد، لم يجد من نفسه][٢٨٦] العلم بذلك في حق الغائب أصلا. ولو كان بديهيا لما كان كذلك، ولما خالف فيه أكثر العقلاء. وإن اكتفى في ذلك بمجرد الدعوى لم يؤمن من المقابلة بمثله في طرف النقيض...»[٢٨٧].

قلت: وفيه نظر من وجوه:

الأول منها: أنَّه جعل العلم الضروري بذلك مَنشَأَهُ جري العادة واطرادها، وليس كذلك. ولو كان من جري العادة لجوز العقل تخلفه يوما ما. وتخلفه مستحيل؛ لأن وجود الفعل ملزوم لوجود فاعله. ويستحيل وجود الملزوم بدون لازمه. فهذا هو منشأ العلم الضروري بذلك [في الغائب][٢٨٨]، لا ما ظنه من جري العادة.

---

(٢٨٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات - باب جامع الدعوات برقم (٣٤٨٣) عن عمران بن حصين بلفظ: «قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي: يا حصين كم تَعْبُدُ اليوم إلها؟ قال أبي: سبعة، ستا في الأرض، وواحدا في السماء. قال: فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء».

(٢٨٣) في م: والعقل.

(٢٨٤) أبكار الأفكار في علم أصول الدين، وفي ط: إنكار الأذكار، وهو تحريف.

(٢٨٥) في م: بنيانا.

(٢٨٦) ساقط من ط.

(٢٨٧) أبكار الأفكار ١/٥٦/أ.

(٢٨٨) ساقط من م و ل.

والثاني منها: أنَّه جعل العلم الضروري بذلك في الغائب من قياسه على الشاهد، فيرجع إلى الاستدلال التمثيلي وليس كذلك. وإنما هو من القياس المنطقي[٢٨٩] الذي فيه إثبات حكم الكلي للجزئي. فإن وجود فعل مخصوص جزئي من الجزئيات المندرجة في قولنا: وكل فعل لابد له من فاعل. فيكون القياس المنطقي هكذا: هذا فعل. وكل فعل لابد له من فاعل. فهذا لابد له من فاعل، سواء كان فاعله مشاهدا أو غائبا. فتبين أن ثبوت الحكم في الغائب بالقياس المنطقي المفيد بالقطع، لا بالقياس التمثيلي كما ظنه الآمدي رحمه الله تعالى.

والثالث منها: أن وجود الفعل ملزوم لوجود فاعله من حيث إنه فاعل. فكل ما يدخل في[٢٩٠] مفهوم الفاعل، [يدخل في اللزوم والبداهة والضرورة. وكل ما لا يدخل في مفهوم الفاعل][٢٩١]، فلا يدخل في لزوم ولا بداهة ولا ضرورة. ولا شك أن المصححات داخلة في مفهوم الفاعل، فتدخل في البداهة والضرورة. وأما الحيوانية والتحرك والتغذية والنمو والتوالد فلا دخل لها في مفهوم الفاعل؛ لجواز كونه غير حيوان، بأن يكون جنّاً أو ملَكاً أو غير ذلك. فلا يصح ما ذكره من لزوم الاطراد. - أي اطراد الضرورة والبداهة في هذه الأوصاف -. أعني الحيوانية وما ذكر معها. وإنما لم يصح ذلك لما تحققته من وجود الفارق، وهو عدم دخولها في مفهوم الفاعل، فلا تطرد فيها البداهة والضرورة.

وقوله: وأيضاً، فإن الإنسان لو خلي ونفسه لم يجد من نفسه العلم بذلك في حق الغائب أصلا، مردود بقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٢٩٢] وبقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢٩٣] وبقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٢٩٤] وبقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي

---

(٢٨٩) القياس المنطقي أو العقلي: كلام مؤلف من مقدمتين فأكثر، يتولد منهما نتيجة؛ وهي المطلوب إثباتها أو نفيها. أو: قول مؤلف من قضايا، متى حصل التسليم بها؛ لزم عنه لذاته قول آخر. كقولنا: العالم متغير. وكل متغير حادث. ويلزم من هاتين القضيتين قول آخر، وهو: العالم حادث.

(٢٩٠) في ل: من.

(٢٩١) ساقط من ب.

(٢٩٢) من الآية ٨٧ من الزخرف.

(٢٩٣) الزخرف: ٩.

(٢٩٤: من الآية ١٠ من سورة إبراهيم.

﴿ ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[٢٩٥] وبقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾[296]

دلَّت هذه الآيات وأمثالها على أن العلم به تعالى مركوز في الفطر. وإنما يغطيه ترادف النعم، ويظهره نزول[٢٩٧] النقم، فيحصل حينئذ وإن لم يلتفت صاحبه إلى نظر ولا تقليد. وليت شعري كيف يخفى على النفس وجود فاعلها سبحانه، وهي محتاجة له في كل لحظة. سائلة منه تعالى [حوائجها][٢٩٨] في كل طرفة. وهذا أمر لازم لكل نفس. لا يجهله أحد، اللهم إلاّ أن يجحده بلسانه فقط. وقد كنا صغارا، وهذه الحالة مركوزة في فطرنا، وفي فطر الصبيان الذين كنا نلعب معهم، فكيف يسوغ للعاقل أن يقول: لو خلي الإنسان ونفسه لم يجد من نفسه العلم بذلك في حق الغائب أصلا، والمشاهدة تنادي على خلافه.

وقوله: ولو كان بديهيا لما خالف فيه أكثر العقلاء. وهو كما ترى أيضاً؛ فإن المخالف فيه مفقود غير[٢٩٩] موجود في هذا العالم؛ كما ذهب إليه صاحب[٣٠٠] «تلخيص المحصَّل»، أو قليل جِدّاً بحيث لا يعبأ به؛ كما ذهب إليه الشهرستاني[٣٠١] وغيره.

ثمَّ خلافه مع ذلك مبني على إنكار ما ليس بمحسوس ولو كان بديهيا. فهذا الخلاف من جملة الخلاف في إنكار البديهيات. فَلاَ يَقْدَحُ[٣٠٢] خلافهم في دلالة الأثر، كما لا يقدح في سائر البديهيات.

---

(٢٩٥) من الآية ٦٧ من الإسراء.

(٢٩٦) الآيتان ٤٠ و٤١ من الأنعام.

(٢٩٧) في م: زوال النعم.

(٢٩٨) ساقط من ب.

(٢٩٩) في م: وغير (بزيادة الواو).

(٣٠٠) وهو العلامة نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الفيلسوف (ت٦٧٢هـ).

(٣٠١) في كتابه: نهاية الأقدام ص١٧٢ وما بعدها.

(٣٠٢) في ط: ولا يقدم، وهو تحريف.

وقد تناظر طبيب سمني من سمنية[٢٠٣] الهند مع جعفر الصادق رضي الله تعالى «عَنْهُ»، فقال الطبيب: صانع العالم غير محسوس. ولا أصدق إلاّ بمحسوس بواحد من الحواس الخمس الظاهرة، التي هي السمع والبصر والشم والذوق واللمس. فقال جعفر: فأنت[٢٠٤] تصدق بالعقل فيك، وهو غير محسوس بواحد من هذه الحواس، فانقطع ولم يدر ما يقول.

فانظر وفقك الله؛ هل يُعتد بخلاف يكون صاحبه علي مثل هذه الصفة؟ أم كيف يحتفل بنزاع ينبني على إنكار البديهيات؟

ثمّ قال جعفر رضي الله تعالى عنه للطبيب: ما تقول في الطفل تضعه أُمُّه، فإنّه لا يستدل على الثدي بالحواس، فإنّه لا يسمع ولا يبصر وهو يطلب الرضاع، فيتلمظ، ويشبع باللبن، ويضحك بعد البكاء إذا روي. فعلمنا أن الذي قدر ذلك في قلب الصبي حتى علم - وهو مضغة - مدبر حكيم. وإلا فأي الحواس دليل للصبي على طلب الرضاع، ومص الثدي، وإساغة[٢٠٥] اللبن، وقذفه في جوفه، حتى طلب ما لم يَعْرِفْهُ فقط؟ وأي الحواس دلت على الضحك إذا شبع، وعلى البكاء إذا جاع؟ وأي الحواس دل الطير على لقط الحب منها ومن فراخها؟ ومن دل السباع منها على ابتلاع[٢٠٦] اللحم دون الالتقاط للحب؟ وأي حواس طير دلها على السباحة إذا ألقيت في الماء؟ وكيف دلت حواس طير الماء على الماء، وانتفعت بها على السباحة، ولم ينتفع طير البر بحواسه في السباحة، والحواس واحدة؟ أم ما بال الذرة إذا طرحت في الماء سبحت، وهي لم تتعلم ذلك قبل الطرح قط. ويلقى الإنسان من أقوى الرجال وأعقلهم لم يتعلم السباحة فيغرق؟ كيف لم يدله عقله ولبه وتحريفه وبصره واجتماع حواسه فيه، وهي صحيحة، أن يدرك ذلك بحواسه كما أدركته الذرة؟ فعلمنا أن الذي هيج الصبي على طلب الرضاع، والطير على لقط الحب، والسباع على ابتلاع اللحم، والطير والذرة على السباحة، لمدبر حكيم.

---

(٢٠٣) السمنية: طائفة تقول بإبطال النظر والاستدلال. وتزعم أنّه لا معلوم إلاّ من جهة الحواس الخمس. وينكر اكثرهم المعاد والبعث بعد الموت.

راجع: الفرق بين الفرق ص٢٧٠، الإرشاد للجويني ص٣، غاية المرام للآمدي ص١٥-١٨، المغني للقاضي عبدالجبار ٧٧/٢.

(٢٠٤) في ل: أنت.

(٢٠٥) في ل و ط: وإصاغة.

(٢٠٦) في ط: اتباع.

فإن قلت: كيف يصح إنكار (وجوده)[٣٠٧] المعطلة، وقد قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾[٣٠٨]؟!

قلت: هؤلاء الذين قالوا هذا القول - وهم كفار قريش-؛ هم[٣٠٩] الذين قيل في شأنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[٣١٠] وغير ذلك من الآيات السابقة. فوجب المصير إلى الجمع؛ بأن تحمل آية الدهر على إنكار البعث فقط، فتكون بمنزلة قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِنْ[311] هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[٣١٢]. وحينئذ فلا منافاة بين إنكار البعث في آية الدهر، والإقرار بالصانع سبحانه في غيرها.

أو[٣١٣] تحمل آية الدهر على قول اللسان دون اعتقاد الجنان، ويحمل غيرها على اعتقاد الجنان. ولا منافاة بين إقرار القلب والجنان بالصانع وإنكار اللسان له، والله أعلم.

الثاني: لما ادعى الفخر الضرورة في دلالة الأثر وقال: إن العلم بها مركوز في فطرة الصبيان. فإنك إذا لطمت وجه الصبي من حيث لا يراك وقلت له: إنما حصلت اللطمة من غير فاعل لم يصدقك. بل في فطرة البهائم؛ فإن الحمار إذا أحس بصوت الخشبة فزع، لأنّه تقرر في فطنته[٣١٤] أن حصول صوت الخشبة بدون الخشبة محال.

اعترضه ابن التلمساني بأنّه من أعجب ما يذكر؛ أن البهائم تدرك قضايا كلية ولوازمها. فلو قدر حمار أو حيوان [عمره][٣١٥] لم يضرب قط بخشبة، لم ينفر من صوتها البتة. ولكن لما تكرر عليه ذلك التألم عند سماعها، تخيلت من حسها[٣١٦] الألم

---

(٣٠٧) ساقطة من م، وفي ط: وجود المعطلة.

(٣٠٨) من الآية ٢٤ من الجاثية.

(٣٠٩) ساقطة من م.

(٣١٠) من الآية ٨٧ من الزخرف.

(٣١١) في الأصل: وقالوا ما هي، وهو خطأ.

(٣١٢) الأنعام: ٢٩.

(٣١٣) في م وتحمل.

(٣١٤) في ب: فطرته.

(٣١٥) ساقط من ل و م.

(٣١٦) في ب: مسها.

[عند][٣١٧] سماعه لمقارنته[٣١٨] المؤلم، وعدم الانفكاك في خياله. كما أن السليم ينفر من الحبل[٣١٩] المبرقش، لمقارنته للأذى[٣٢٠] عنده. وهذا من الخيالات، لا من التمييز العلمي.

قلت: مراده بالقضايا الكلية: الصغرى والكبرى، وبلوازمها: النتيجة؛ لأن القياس هكذا: هذا صوت. وكل صوت لابد له من خشبة. فهذا لابد له من خشبة. فالصغرى شخصية، وغلَّب عليها الكبرى، فوصفهما معا بالكلية، ثمَّ فيه بعد ذلك أمور:

أحدها: قال مجاهد وغيره في قوله تعالى: ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٣٢١] قال: عَلَّم كل دابة كيف تتقي عن نفسها وتدفع.

وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[٣٢٢] قال: أعطى كل شيء ما يصلحه ثمَّ هداه له. وعن مجاهد: سوى خلق كل دابة، ثمَّ هداها لما يصلحها، وعلمها إياه. وعنه أيضاً: أعطى كل شيء صورته، ثُمَّ هداها[٣٢٣] لمعيشتها[٣٢٤].

وعن ابن عباس وابن جبير: أعطى كل شيء خلقه: أي شكله للإنسان زوجة، وللبعير ناقة، وللفرس رمكة، وللحمار أتانا. ثمَّ هدى: عرف وعلم، وألهم إلى الأكل والشرب، والجماع، وطلب المرعى، وتوقي المهالك، وكيف يأتي الذكر الأنثى.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣٢٥] عن ابن سابط[٣٢٦] قال: «ما أبهمت عليه البهائم؛ فلم

---

(٣١٧) ساقطة من ل و ط.

(٣١٨) في م: لمقارنة.

(٣١٩) في م: الجمل.

(٣٢٠) في ب: الأذى.

(٣٢١) من الآية ٨٨ من النمل.

(٣٢٢) من الآية ٥٠ من طه.

(٣٢٣) في ب و م: ثُمَّ هداه لمعيشته.

(٣٢٤) في م: لمعيشته. والآثار أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٢٤/٧-٢٤٢٥، وذكرها ابن كثير في تفسيره ١٥١/٣.

(٣٢٥) في تفسيره ٢٤٢٥/٧.

(٣٢٦) عبدالرحمن بن سابط. ويقال: عبدالرحمن بن عبيد الله بن سابط، الجمحي، المكي. تابعي ثقة، كثير الإرسال. روى عن عمر وسعد بن أبي وقاص ومعاذ والعباس وغيرهم. له في صحيح مسلم حديث واحد في الفتن. ذكره البخاري وأبو حاتم وابن حبّان في الثقات. مات سنة ١١٨هـ.

انظر: الجرح والتعديل ٢٤٠/٥، تهذيب التهذيب ١٨٠/٦، التقريب ص٢٨٢.

تبهم على أربع: تعلم أن الله تعالى ربها. ويأتي الذكر الأنثى. وتهتدي لمعاشها. وتخاف الموت».

ثانيها: قد علمت من هذه الآثار السلفية؛ أن البهائم مفطورة على معرفة خالقها سبحانه، وإتقاء الشر وغيرهما[٣٢٧] مما سبق ذكره. فكان الصواب مع الفخر رضى الله تعالى عنه، لامع ابن التلمساني رحمه الله: بشهادة الآثار السابقة الدالة على أن[٣٢٨] علوم البهائم بما سبق، فطرية لا مكتسبة بالتكرار ونحوه. وتشهد بذلك أيضاً المعاينة.

ولنذكر في ذلك حكايات[٣٢٩].

منها: أني كنت ذات يوم جالساً في خيمة، وفيها قط صغير، يلعب ويفرح بنفسه، ولا يدخل أحد الخيمة: إلاّ فرح به، ولعب معه، ويأتي في ذلك بكل ما يقدر عليه. ثمَّ اتفق أن نام القط، وخرج رب الخيمة، فوجد جرو ذئب صغير؛ بحيث إنَّه لم يفتح عينيه، فأدخله الخيمة، وجعله بإزاء القط النائم. فاستيقظ القط، فنظر جرو الذئب، فجعل يرتعد وينتفض، إلى أن سقط مغشيا عليه. فأخرجنا الذئب. وبقي القط على حالته يوما وليلة. ثُمَّ استيقظ، وبه من المرض ما لا يقدر. وقد غيبنا الذئب عن ساحته بالكلية، فما برئ من مرضه وخوفه إلاّ بعد أيام. فأي تكرار مَرَّ على هذا القط؟ وبأي شيء حصلت تجربة عداوة الذئب له؟ ولكن الأمر كما قال تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

ومنها؛ قال بعض أصحابنا: كانت له بقرة تسرق الحشيش بالليل. فتأتي إلى الفدان فتأكل ما فيه. ثمَّ ترجع إلى موضعها، وتصبح فيه كأنها باتت فيه. فكثرت الشكاية من أرباب الفدادين. ولم يدر[٣٣٠] أحد من اشتغل بذلك. حتى نظرت امرأة إلى البقرة،

---

(٣٢٧) في ل و ط: وغيرها.

(٣٢٨) ساقطة من م.

(٣٢٩) ساق المولف هنا حكايات شعبية رائجة في عصره، خاصة بين المتصوفة وأرباب المقامات، ليستدل منها على أن البهائم مفطورة على معرفة خالقها، وإصلاح شأنها، وتوقي ما يعرض لها من شرور ومهالك... ساقها مساق مطلع على ثقافة عصره، عالِم بالأساليب والطرق الذائعة في زمنه، شاعر بما يشغل النَّاس ويستأثر باهتمامهم.

وكان ينبغي أن ينزه كتابه من هذه الحكايات، سيما وقد نقل من آثار السلف ما يغني عنها.

(٣٣٠) في ل و م: بياض، والتصحيح من ط.

فرأت بطنها مملوءاً شبعا[٣٣١]. فعلمت أن ذلك من سرقتها ليلا. قال: فقيدتها ليلا لتنقطع سرقتها. فجعلت تذهب إلى الفدان مقيدة. فرمقتها، فإذا هي تمشي خطوة، ثمَّ تقف، تنظر يمينا ويسارا[٣٣٢] هل ترى أحدا. ثمَّ تخطو خطوة أخرى، وتقف تنظر هل ترى أحدا، حتى تبلغ إلى الفدان الذي تريد سرقته. فتأكل منه حتى تشبع. ثمَّ ترجع؛ وهي تمشي مشية الخائف من جنايته إلى أن تبلغ إلى محلها. فتركتها ذات ليلة حتى كانت في وسط الطريق - وهي ذاهبة إلى الفدان، واقفة تنظر هل ترى أحدا -، فصاحت بها، فجعلت تجري راجعة بأقصى ما فيها من الجري وهي مقيدة. ثمَّ لم تتب من ذلك. فجعلت إذا قيدتها عكستها؛ أي ربطت قرنها برجلها. فجعلت تتحيل حتى تقطع ذلك الذي وقع به العكس، وتذهب للسرقة. فقلت: ما ينفع مع هذه البقرة إلاّ التكميم لفمها. فلما كممتها تابت؛ لأنها علمت إن ذهبت إلى الفدان لا تجد بما تأكل به. فأي تكرار وقع لهذه البقرة؟

ومنها: أني لما ذهبت لزيارة الصالحين الذين بمراكش[٣٣٣] نفعنا الله ببركاتهم، وذلك عام ستة وثلاثين ومائة وألف. مررت بمشرع الرملة؛ الموضع المعروف، وفيه من الأخصاص[٣٣٤] ما لا يحصيه إلاّ الله تعالى. فخرجنا من المحل الذي نزلنا فيه إثر صلاة الصبح في غبش الظلام. وطلبوا منا أن نرجع عليهم. فلما رجعنا، وأردنا الوصول إلى المحل الذي كنا فيه، تحيرنا في معرفته. ولم يقدر أحد منا على[٣٣٥] الوصول إليه لكثرة الأخصاص والعمارة به. فأشار إلينا بعض أصحابنا، أن ابعثوا الدابة الفلانية لدابة

(٣٣١) في م: شعيرا.

(٣٣٢) في م و ط: وشمالا.

(٣٣٣) إذا كان المؤلف يقصد زيارة الأحياء، فهذا لا غبار عليه؛ إذ يزار الإنسان لعلمه وصلاحه وديانته. وأما إذا كان يقصد الأموات؛ فهذه زيارة بدعية؛ لما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد انه قال: «لا تُشد الرحال إلاّ الى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا». وأما السفر إلى مجرد زيارة مقابر الأنبياء والصالحين ومشاهدهم وآثارهم، فلم يستحبه أحد من ائمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم.

(٣٣٤) مفرد الخُصّ؛ وهو بيت من شجر او قصب. وقيل: الخُص، البيت الذي يسقف عليه بخشبة على هيئة الأزَج. والجمع أخصاص وخِصاص. وقيل في جمعه: خُصوص. سُمي بذلك لأنّه يُرى ما فيه من خصاصة أي فرجة.

(٣٣٥) في م: إلى.

معنا، واتبعوها فإنها تعقل على الموضع ولا تتخطاه. فقلنا له: كيف تعقل عليه، ونحن خرجنا منه في وقت الظلمة، ونحن آدميون عقلاء، وفينا العلماء والفقهاء، ولا يعقل أحد منا على ذلك الموضع، والبهيمة تعقله؟!! هذا ما لا يكون!! فقال ذلك الصاحب: أطيعوني واتبعوها. ففعلنا.

فذهبت والله إلى ذلك المحل مسرعة، كأنها تعرفه منذ سنين عديدة، حتى وقفت عليه من غير زيغ ولا ريب ولا ميل، مع بعد المسافة التي قلدناها فيها. فأي تكرار وقع من هذه البهيمة حتى عرفت الطريق؟

ومنها؛ أني كنت ذات يوم جالساً، وإذا بفأر بالسقف الذي فوق رأسي. وهو يمشي على خشبة، يجيء ويذهب ويفرح بنفسه. وبإزائه هرة، فرمقته. وكان السقف عاليا جدا. فتركته حتى توسط الخشبة التي يلعب عليها، وبعد من الحائط المغروزة فيه، فصاحت به صيحة من قلبها ظن أنَّها معه. فوقع إلى الأرض صريعا، فأكلته.

والحكايات في هذا الباب كثيرة، لا تسعها كراسة، فلنقتصر على هذا القدر، ففيه كفاية للطالب.

فقول ابن التلمساني رضى الله تعالى عنه: فلو قدر حمار أو حيوان عمره لم يضرب بخشبة، لم يفر من صوتها ألبتة، معارَض بما سبق من الحكايات التي لا تكرار فيها ولا تجربة. وبمسألة الفأر هذه؛ فإنها قط لم تأكله هرة. واظن أنَّه لم يرها قط ففَرَّ منها لما سمع صوتها. وذلك ظاهر. والله أعلم.

ثالثها: ما تعجَّب منه الفهري رضي الله تعالى عنه من إدراك البهائم قضايا كلية ولوازمها، لا عجب فيه. فإنها تدرك ذلك، كما تدرك التماثل والتخالف. فإنها ترعى حشيشا، ثمَّ تنتقل إلى حشيش آخر، فتشمه ولا تأكله، ثمَّ تنتقل إلى ثالث فتأكله. (فقد أدركت التماثل بين الثالث والأول، والتخالف بين الثاني والأول)[٢٢٦]. فقد أدركت أمراً عامًّا، والجزئيات التي تندرج فيه، والتي لا تندرج.

بل سمعت حَرَسيا[٢٢٧] يقول لحرس آخر: اسأل الله التوفيق، وأما الحلال والحرام فإن القط يعرفه. فقال له: كيف يعرف القط الحلال والحرام؟!! فقال: تعطيه برضاك قطعة لحم، يأكلها بإزائك، ويختطف لك قطعة أخرى، فيفر، ولا يأكلها بإزائك. فالأولى

---

(٢٢٦) ساقط من: ب.

(٢٢٧) الحَرَسِي: واحد حرَسي السلطان؛ وهم الحُرَّاس. والمراد: الَّذين يرتبون لحفظه وحراسته.

حلال، والثانية حرام. ولذلك فرّ منك؛ لأن الحرام[٣٣٨] ما فيه عقوبة.

وسمعت قائلا آخر يقول: إن البهائم تعرف قاعدة: إذا التقى ضرران ارتكب[٣٣٩] أخفهما. فقيل له: وكيف ذلك؟!! فقال: الحمار يركبه الطفل الصغير، فيمتنع من المشي، ويحني رأسه للأرض، والصبي يضربه ضربا لا يؤلمه، فيصبر عليه؛ لأنّه أخف من ضرر مشيه به. وإذا ركبه كبير، وصاح به مشى؛ لأنّه يرى أن ضرر مشيه به أخف من ضرر ضربه المؤلم. فهو يرتكب[٣٤٠] أخف الضررين في البابين.

وقال السعد رحمه اللّه تعالى في «شرح المقاصد»[٣٤١]: ذهب جمهور الفلاسفة إلى أنَّه ليست لغير الإنسان من الحيوانات نفوس مجردة مدركة للكليات. وبعضهم إلى الوقف على الإثبات والنفي... وذهب جمع من أهل النظر إلى ثبوت ذلك لها، تمسكا بالمعقول والمنقول.

أما المعقول؛ فهو أنا نشاهد منها أفعالا غريبة، تدل على أنَّ لها إدراكات كلية، وتصورات عقلية؛ كالنحل في بناء بيوته[٣٤٢] المسدسة، والانقياد لرئيسها[٣٤٣]. والنمل في إعداد الذخيرة. والإبل والخيل والبغال والحمير في الاهتداء إلى الطرق في الليالي المظلمة. والفيل في غرائب وأحوال[٣٤٤] تشاهد منه. وكثير من الطير والحشرات في علاج أمراض تعرض لها. إلى غير ذلك من الحيل العجيبة التي يعجز عنها كثير من العقلاء.

وأما المنقول؛ فقوله تعالى: ﴿ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾[٣٤٥] [وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[٣٤٦] الآية. وقوله تعالى: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾[347]][٣٤٨] وقوله تعالى

---

(٣٣٨) في ل: الحلال، وفي ط: فإن الحرام.

(٣٣٩) في ل: ارتكبت.

(٣٤٠) في ل: ترتكب.

(٣٤١) ٣/٢٥٢-٢٥٤.

(٣٤٢) في الأصل: بيوتها. والتصحيح من شرح المقاصد للتفتازاني ٣/٢٥٢.

(٣٤٣) في شرح المقاصد ٣/٢٥٢: لرئيس.

(٣٤٤) في شرح المقاصد (٣/٢٥٢: في غرائب أحوال.

(٣٤٥) من الآية ٤١ من النور.

(٣٤٦) من الآية ٦٨ من النحل.

(٣٤٧) من الآية ١٠ من سبأ.

(٣٤٨) ما بين المعقوفتين ساقط من م.

حكاية عن الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾[٣٤٩] وحكاية عن النمل ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾[٣٥٠] الآية. انتهى.

وقال أبو بكر بن العربي[٣٥١] رضي الله تعالى عنه: «ولا خلاف عند العلماء في أن الحيوانات كلها لها أفهام[٣٥٢] وعقول، وقد قال الشافعي: الحمام أعقل الطير. وقد قال علماء الأصول: انظروا إلى النمل كيف تقسم كل حبة تدخرها نصفين، لئلا ينبت الحب، إلاّ حب الكزبرة، فإنها تقسم الحبة منه بأربع؛ لأنها إذا قسمت بنصفين[٣٥٣]، وإذا قسمت بأربع لم تنبت. وهذا من غوامض العلوم عندنا. وأدركته النمل بخلق الله تعالى ذلك لها.

قال: وقال الأستاذ أبو المظفر شاه بور الإسفرائيني[٣٥٤]: ولا يبعد أن تدرك البهائم حدوث العالم، وخلق المخلوقات، ووحدانية الإله، ولكنا[٣٥٥] لا نفهم عنها ولا تفهم عنا.

وقال الثعلبي: «قال كعب: صاح ورشان عند سليمان بن داود عليهما[٣٥٦] السلام، فقال: أتدرون ما يقول؟ إنه يقول: لدوا[٣٥٧] للموت، وابنوا للخراب. وصاحت فاختة عنده فقال: أتدرون ما تقول؟ إنها تقول: ليت (هذا)[٣٥٨] الخلق لم يخلقوا. وصاح طاوس فقال: أتدرون ما يقول؟ (إنه يقول: كما تدين تدان. وصاح هدهد فقال: أتدرون ما يقول؟ إنه يقول)[٣٥٩]: من لا يرحم لا يُرحم. وصاح صرد[٣٦٠] فقال: أتدرون ما يقول؟ إنه يقول: استغفروا الله يا مذنبين. فمن ثمَّ نهى النبي صلى الله عليه وسلم

---

(٣٤٩) من الآية ٢٢ من النمل.

(٣٥٠) من الآية ١٨ من النمل.

(٣٥١) في أحكام القرآن ١٤٤٩/٣.

(٣٥٢) في م: إلهام.

(٣٥٣) في ل : نبتت.

(٣٥٤) هو العلامة المفتي، أبو المظفر طاهر بن محمَّد (شاهفور) الطوسي، الشافعي، صاحب التفسير الكبير. توفي بطوس سنة ٤٧١هـ.

مترجم له في: تبيين كذب المفتري ص٢٧٦، الطبقات الكبرى ١١/٥، سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٨.

(٣٥٥) في م: ولكننا.

(٣٥٦) في ل و م: عليه السلام.

(٣٥٧) في ل: لادوا. وهو خطأ.

(٣٥٨) ساقط من ل و م.

(٣٥٩) ما بين المعقوفتين ساقط من م.

(٣٦٠) الصرد: طائر ضخم الرأس والمنقار، له ريش عظيم، نصفه أبيض ونصفه أسود.

عن قتله[٢٦١]. [وصاح خطاف فقال: أتدرون ما يقول؟ إنه يقول: قدموا خيرا تَجِدُوهُ. فمن ثمَّ نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله][٢٦٢]. وهدرت حمامة فقال: أتدرون ما تقول؟ إنها تقول: سبحان ربي الأعلى في سمائه وأرضه. قال: والغراب يدعو على العشار. والحدأة تقول: كل شيء هالك إلاَّ وجهه. والقطاة تقول: من سكت[٢٦٣] سلم. والببغاء[٢٦٤] تقول: ويل لمن كانت الدنيا همه[٢٦٥]. والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس. والبازي يقول: سبحان ربي وبحمده[٢٦٦]. سبحان المذكور في كل مكان.

وقال مكحول: صاح دراج[٢٦٧] عند سليمان، فقال: إنه يقول: الرحمن على العرش استوى. وقال الحسن: قال النبي صلى الله عليه وسلم: الديك إذا صاح يقول: اذكروا الله يا غافلين.

وقال الحسن بن علي: إذا صاح النسر قال: عش يا ابن آدم ما شئت آخرك الموت. وإذا صاح العقاب قال: في البعد من النَّاس البر[٢٦٨]. وإذا صاح الخطاف قرأ[٢٦٩]: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وتمد ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ كما يمدها القارئ[٢٧٠]». فانظره عند قوله: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[٢٧١].

---

(٢٦١) يشير إلى حديث ابن عباس، قال: «نهى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحل، والهدهد، والصرد».
أخرجه أبو داود في كتاب الأدب - باب في قتل الذر. رقم (٥٢٦٧)، وابن ماجه في كتاب الصيد - باب ما ينهى عن قتله. رقم (٣٢٢٤).

(٢٦٢) ما بين المعقوفتين ساقط من م، واستدرك على الهامش في ب. هذا، ولم أقف على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الخُطاف، رغم بحثي عنه.

(٢٦٣) في م: من سك.

(٢٦٤) في قصص الأنبياء للثعلبي ص٢٦٢: والعنقاء.

(٢٦٥) في ب: همته.

(٢٦٦) في قصص الأنبياء ص٢٦٢: والعصفور يقول.

(٢٦٧) في م و ل: درج.

(٢٦٨) في قصص الأنبياء ص٢٦٢: أنس.

(٢٦٩) في م: قال.

(٢٧٠) قصص الأنبياء للثعلبي ٢٦١-٢٦٢.

(٢٧١) من الآية ١٦ من النمل. وفي هذا إشارة إلى أنه نقل من تفسيره. غير أن النص نفسه موجود في كتابه: قصص الأنبياء.

وقال[٣٧٢] عند قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾ الآية: «ورأيت في بعض الكتب أن سليمان قال لها: لم حذرت النمل[٣٧٣]؟ أخفتِ ظلمي؟ أما علمتِ أني نبي عدل؟ فلم قلت: لا يحطمنكم سليمان وجنوده؟ فقالت النملة: أما سمعتَ قولي: وهم لا يشعرون؟». انظر تمامه.

وقال صاحب «الدر المنثور»[٣٧٤]: وأخرج ابن أبي شيبة[٣٧٥]، وابن أبي حاتم[٣٧٦] عن أبي الصديق الناجي[٣٧٧] قال: «خرج سليمان بن داود يستسقي، فإذا هو بنملة مستلقية[٣٧٨] على ظهرها، رافعة قوائمها إلى السماء؛ وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك، لا غنى بنا[٣٧٩] عن سقياك، وإلا تسقينا تهلكنا. فقال سليمان: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم[٣٨٠].

وقال الطرطوشي في «سراج الملوك»[٣٨١]: «اختلفوا في القصاص الجاري بين البهائم يوم القيامة؛ كاقتصاص الشاة الجمَّاء من الشاة[٣٨٢] القرناء[٣٨٣].

فذهب الشَّيخ الأشعري إلى أنَّه ليس على حقيقته. وإنما المقصود به المبالغة في

---

(٣٧٢) أي الثعلبي في قصص الأنبياء ص٢٦٤.

(٣٧٣) ساقطة من ل.

(٣٧٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢٤٥/٦.

(٣٧٥) في المصنف في الأحاديث والآثار - كتاب الزهد - رقم (٣٤٢٦٢) ٩٣/٧.

(٣٧٦) في تفسيره ٢٨٥٨/٩.

(٣٧٧) بكر بن عمرو بن قيس، أبو الصديق الناجي، بصري ثقة. أخرج له أصحاب الكتب الستة. روى عن بعض الصحابة. وثقه ابن معين وأبو زرعة والنسائي. وذكره ابن حبّان في الثقات مات سنة ١٠٨هـ.

انظر: الجرح والتعديل ٢/ ٣٩٠، تهذيب التهذيب ٤٨٦/١، التقريب ص٦٦.

(٣٧٨) في ل: مستقبلة.

(٣٧٩) في م: لنا.

(٣٨٠) رواه أيضاً أبو نعيم في الحلية ١٠١/٣، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٤٧/٣.

(٣٨١) ج٢ ص٦٢٧-٦٢٩. (بتصرف).

(٣٨٢) ساقطة من ل.

(٣٨٣) يشير إلى حديث أبي هريرة عند مسلم؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لتؤدُّنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حَتَّى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

كتاب البر والصلة - باب تحريم الظلم. رقم (٢٥٨٢).

والشاة الجلحاء: هي الشاة الجماء التي لا قرن لها.

إثبات القصاص بين ابن[٣٨٤] آدم.

وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني[٣٨٥]: بل هو على حقيقته ويجري القصاص بينها[٣٨٦]. ويحتمل أنَّها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا. فلهذا جرى[٣٨٧] بينها القصاص. ذكره في كتابه «الجامع[٣٨٨] الجلي».

قال الطرطوشي: وكلام الأستاذ له وجه في الصحة؛ لأن البهيمة تعرف النفع والضر. فتنفر[٣٨٩] من العصا وتقبل إلى العلف. انظر تمامه[٣٩٠].

فظهر من هذا، أن ما جزم به الفهري رحمه اللّه مشكوك فيه. وأن تعجبه في غير محله. وبقي في كلامه أبحاث أخر، وما ذكرناه كاف في التنبيه عليها. واللّه أعلم.

الثالث: اعلم أني رأيت الأستاذ أبا بكر بن فورك رضي اللّه تعالى عنه في كتاب «مقالات الأشعري»، نقل عن الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي اللّه عنه أنَّه ذهب إلى أن[٣٩١] معرفة الله تعالى نظرية[٣٩٢]. وهو بظاهره يخالف ما سبق لنا تصحيحه. ولكنه لم يبين مقدار المعرفة التي هي نظرية، وكم متعلقها؟ فإن المعرفة به تعالى: إما أن تتعلق بوجوده فقط. وهذه حقيقة الإيمان عند الشيخ أَبي الحسن رضي اللّه تعالى عنه تبعا للصالحي[٣٩٣] كما سبق.

وإما أن تتعلق بوجوده تعالى وحياته وقدرته وإرادته وعلمه. وهذه هي مصححات الفعل؛ وهي التي تعلم ضرورة وبداهة من ضرورة دلالة الأثر كما سبق.

---

(٣٨٤) في ب : من بني آدم.

(٣٨٥) هو العالم في الفقه والأصول، إبراهيم بن محمَّد بن إبراهيم. صنف في علم الكلام، وأصول الفقه. وله مناظرات مع المعتزلة. مات في نيسابور سنة ٤١٨هـ.

مترجم له في: التبصير في الدِّين ص١١٩، وفيات الأعيان ٢٨/١، شذرات الذهب ٢٩/٣، الأعلام ٦١/١.

(٣٨٦) في م: بينهما.

(٣٨٧) في ل: أجري.

(٣٨٨) ساقطة من م.

(٣٨٩) في م: فتنفر.

(٣٩٠) أطال الطرطوشي رحمه اللّه في مسألة جريان القصاص بين البهائم يوم القيامة، ونقل خلاف أهل العلم في المسألة، وصار إلى أنها تحشر وتعاد كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، ويجري القصاص بَينها. وإذا لم تكن مكلفة فهي في المشيئة، يفعل اللّه بها ما أراد. راجع: سراج الملوك ٦٢٧/٢-٦٣٢.

(٣٩١) ساقطة من ل.

(٣٩٢) راجع: مجرد مقالات الأشعري لابن فورك ص٢٥٠.

(٣٩٣) في ل: للصلاحي. وهو خطأ.

وإما أن تتعلق بما سبق، وبغيره من الصفات؛ كالوحدانية والمغفرة والرحمة وشدة العذاب، وسائر ما في القرآن من الأوامر الواردة بالعلم به، وبصفاته تعالى. وهذا هو الذي يقتضيه كلام الشيخ الأشعري رضى الله تعالى عنه أخيراً[٣٩٤].

وحينئذ؛ فإن أراد الشيخ رضي الله تعالى عنه بالمعرفة التي هي نظرية، المعنى الأول، خالف جميع ما سبق. وخالف قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؛ فإن من المفسرين[٣٩٥] من قدره[٣٩٦]: أفي إلهية الله شك؟ وهُمُ الجمهور، فيدخل الوجود أيضاً[٣٩٧] بالضرورة.

وقَدَّره أبو علي الفارسي: أفي وحدانية الله شك؟ فيدخل الوجود أيضاً بالضرورة.

قال ابن عطية[٣٩٨] رحمه الله تعالى: قيل: حمله على ذلك الاعتزال؛ لأنّه إن قَدر الإلهية، دخلت القدرة والإرادة والعلم والحياة. وهم ينكرون المعاني. فلذا هرب إلى تقدير الوحدانية.

ويصح أن يقدر: أفي وجود الله شك؟[٣٩٩] وهو المُتَبَادَرْ[٤٠٠]. وبإضافته إلى اسم الجلالة تدخل الألوهية التي قدرها الجمهور. فتقديرهم مندرج في هذا التقدير، مع زيادة التصريح بالوجود.

وإن أراد بالمعرفة التي هي نظرية، المعنى الثاني، خالف جميع ما سبق. وخالف الآية السابقة. كما لا يخفى على التقادير كلها.

وإن أراد المعنى الثالث (فهو مسَلَّم؛ إذ لا يدَّعي أحد أن معرفة الله تعالى بجميع صفاته التي يتوقف عليها الفعل، والتي لا يتوقف[٤٠١] عليها ضرورة.

---

(٣٩٤) كل هذا تفسير للإيمان على قواعد المرجئة؛ لأن الإيمان عندهم مجرد قول بلا عمل.

(٣٩٥) انظر: تفسير ابن كثير ٥٠٦/٢.

(٣٩٦) في ب: قرره.

(٣٩٧) ساقطة من م و ط.

(٣٩٨) في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٦٨/١٠.

(٣٩٩) وهو أحد الاحتمالين لقوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أي أفي وجوده شك؟ فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به. فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة. ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فيحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده. انظر: تفسير ابن كثير ٥٠/٢، ومجموع الفتاوى ٢٣٩/١٦.

والاحتمال الثاني: أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة شك؟ كما تقدم في المتن.

(٤٠٠) والصحيح: أفي استحقاق الله وحده للعبادة شك؟ لأن هذا هو محل الخصوص.

(٤٠١) في ل: والتي يتوقف.

وعلى هذا المعنى [الثالث][٤٠٢]، يجب حمل كلام أبي الحسن رحمه الله تعالى.

وإن كان في بعض كلامه ما ينبو عن ذلك، ويقتضي أنه يخالف في الوجه الأول، فإن ذلك في غاية البعد جدا.

ولننقل كلامه، ونشير إلى ما فيه، فنقول: «قال الأستاذ[٤٠٣] رحمه الله تعالى: فمن ذلك معرفة الله تعالى في الدنيا، فهي عنده مكتسبة، وليست بضرورة. وكان يقول: لو كانت ضرورة لم يجز أن تخطر بالبال خواطر الشكوك، وأن تدعو الدواعي إلى خلافها؛ لأن ما علمناه ضرورة؛ فذلك حكمه. فلما رأينا خواطر الشكوك في معرفة الله تعالى قد تعترض النفوس، وتدعو إلى خلافها الدواعي، علمنا أنها ليست بضرورة. كما أن علم الإنسان بنفسه لما كان ضرورة لم يجز أن يدعوه داع إلى خلاف ذلك. ولم يجز أن ترد عليه الشبه في وجوده، حتى يعتقد أنه ليس بموجود. ولما جاز أن يرجع الإنسان عن[٤٠٤] الإيمان بالله إلى الكفر، ويترك المعرفة بالله، «علمنا أنها ليست باضطرار»، قلت: إذا لم يدخله شك في وجود نفسه لم يدخله (شك)[٤٠٥] في حدوثه وافتقاره. وإذا لم يدخله شك في حدوثه وافتقاره، لم يدخله شك في خالقه الغني سبحانه.

فهذه ثلاثة أمور كلها بديهية: علمه بوجوده، وعلمه بافتقاره، وعلمه بالذي يفتقر إليه. ليس في واحد منها نظر واستدلال.

وإن شئت[٤٠٦] قلت: إن الافتقار نسبة بين منتسبين: مفتقر، ومفتقر إليه. وإذا كان العلم بالنسبة بديهيا، كان العلم بالأطراف كذلك. وأيضا إذا لم يدخله شك في وجوده، لم يدخله شك في ترادف النعم عليه ظاهرا وباطنا. وإذا لم يدخله شك في النعم، فلا يدخله شك في المنعم سبحانه. فهي ثلاثة أمور كلها بديهية: علمه بوجوده، [وعلمه بالنعم][٤٠٧]، وعلمه بالمنعم سبحانه. وإن شئت أن تقول: علمه بالإنعام عليه بديهي، فيكون العلم بالمنعم عليه، وبالمنعم بديهيا بما سبق.

---

(٤٠٢) ساقط في ط.

(٤٠٣) أي ابن فورك في مجرد مقالات الأشعري ص٢٤٨.

(٤٠٤) في ل: على.

(٤٠٥) ساقط من ل و م و ط.

(٤٠٦) ساقطة من م.

(٤٠٧) ساقط من: ل و م، وفي ط: وعلمه بترادف النعم عليه.

قال جعفر الصادق رضوان الله عليه: فالعجب من مخلوق يزعم أن الله يخفى على عباده. وهو يرى أثر الصنع في نفسه، بتركيب يبهر عقله، وتأليف يبطل جحوده[٤٠٨]. انتهى.

وبالجملة؛ فمحرك القلب إلى الرب سبحانه، جنديان يأتيان من عند الرب سبحانه، لا انقطاع لهما أبد الآبدين:

أحدهما: جند النعم. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٤٠٩] وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[٤١٠].

وثانيهما: جند النقم[٤١١]. وهو الجند الذاتي الذي مبداه نقص العبد وعجزه وضعفه، وإمكانه وحدوثه واحتقاره وافتقاره، فحاجته إلى ربه تعالى ذاتية. أوجبها حدوثه الذاتي (أو إمكانه الذاتي)[٤١٢] على الخلاف. وما بالذات لا يتخلف ولا يختلف.

ثمَّ قال الأستاذ[٤١٣] رضي الله عنه: «وكان يقول أيضاً: لو كانت المعرفة بالله ضرورة، لكان النَّاس جميعا مضطرين إليها. ولو جاز لمدع أن يدعي ذلك، لجاز لمدع أن يدعي أنَّهم مضطرون إلى العلم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبصدقه»[٤١٤].

قلت: هذا قياس مع وجود الفارق [٤١٥]. فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس

---

(٤٠٨) يقصد رحمه الله هنا الاستدلال على معرفة الخالق جل وعلا بطريق النظر في المخلوقات، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. (الذاريات: ٢١) وفي بيان هذا الطريق يقول الراغب الإصفهاني: «جعل - أي الله تعالى - لكل إنسان من بدنه ونفسه عالما صغيرا، أوجد فيه مثال كل ما هو موجود في العالم الكبير. ليجري ذلك من العالم مجرى مختصر من الكتاب البسيط، يكون مع كل أحد نسخة يتأملها في الحضر والسفر، والليل والنهار، فإن نشط وتفرغ للتوسع في العلم نظر في الكتاب الكبير الذي هو العالم، فيطلع منه على الكون ليغزر علمه، ويتسع فهمه، وَإلاَّ فليقتنع بالمختصر الذي معه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾». كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٢٠٢.

(٤٠٩) من الآية ٢٠ من سورة لقمان.

(٤١٠) من الآية ٥٣ من النحل.

(٤١١) في م: جند المنعم. ولا معنى له.

(٤١٢) ساقط من ل و م.

(٤١٣) أي ابن فورك في مجرد مقالات الأشعري ص٢٤٨.

(٤١٤) في ل: وتصديقه.

(٤١٥) في م: المفارق.

بخالق ولا رازق، (والرب سبحانه خالق ورازق)[٤١٦]. فلا يلزم من كون معرفة الرب سبحانه ضرورية، أن تكون معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك. والله أعلم.

ثمَّ قال الأستاذ[٤١٧] رحمه الله: «وكان يقول أيضاً: لو كان الناس جميعا مضطرين إلى المعرفة بالله... لجاز لآخر أن يدعي أنهم مضطرون إلى علم الحق كله».

قلت: هو نظير قول القائل: لو كانت بعض العلوم ضرورية، لكان جميع العلوم ضروريا. ولا خفاء في بطلان اللزوم هنا وهناك. والله أعلم.

ثمَّ قال الأستاذ[٤١٨] رحمه الله: «وكان يقول أيضاً: لو كانت معرفته تعالى ضرورية، لم تكتسب بالدليل».

قلت: الضروري قد ينبه عليه، كما يقول: الأربعة زوج؛ لأنها تنقسم بمتساويين. وكل منقسم بذلك زوج. فالعلوم التي في هذه القضايا كلها بديهية.

ثمَّ قال الأستاذ[٤١٩] رضي الله تعالى عنه: «وكان أيضاً يقول: إن معرفة الله تعالى مأمور بها... ألا ترى أن الله تعالى أمر الخلق جميعا بتقواه، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ﴾[٤٢٠]. والتقوى إنما هي[٤٢١] العلم بقدرة المتَّقَى على ما يقدر عليه أن يفعل به من الضرر والعذاب الأليم. وكذلك قال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٤٢٢]. وهذا[٤٢٣] أمر بالعلم به نصا. وقال: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[٤٢٤] ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤٢٥]. وسائر ما في القرآن من الأوامر الواردة في العلم[٤٢٦] به وبصفاته. وإذا كان ذلك كذلك دل أنها اكتساب؛ لأن الأمر لا يتعلق بنوع من الضرورة، ولا الذم على تركه، ولا المدح على فعله».

---

(٤١٦) ساقط من ل و م.

(٤١٧) أي ابن فورك في مجرد مقالات الأشعري ص٢٤٩.

(٤١٨) المرجع السابق (بتصرف).

(٤١٩) نفسه ص٢٤٩.

(٤٢٠) من الآية ١ من الحج.

(٤٢١) في م: هو.

(٤٢٢) من الآية ١٩ من سورة محمَّد صلى الله عليه وسلم.

(٤٢٣) في م: وهو.

(٤٢٤) من الآية ١٩٦ من البقرة. والآية ٢٥ من سورة الأنفال.

(٤٢٥) من الآية ٣٦ من سورة المائدة.

(٤٢٦) في ر و م: بالعلم.

قلت: هذه المعرفة هنا هي بالمعنى الثالث. ولا نزاع في أنّها نظرية. فلا حجة فيما قاله رضي اللّه تعالى عنه.

وقد اختصرنا الكلام جدا في تتبع فصول هذا الكلام مخافة الطول. واللّه أعلم.

الرابع: قال الطرطوشي رضي اللّه تعالى عنه، ونفعنا به، في «سراج الملوك» ما نصه: «فإن قيل: فَأَيٌّ العلمين[٤٢٧] أقوى في النفس، وأثبت في العقل؟ هل العلم بالنجار عند النظر في السرير، واقتضائه للنجار. أو العلم باللّه سبحانه عند النظر في السماوات (والأرض)[٤٢٨] وما بينهما؟ فالجواب أن هذا يستدعي تفصيلا وتدقيقا، وليس هذا الكتاب موضوعا له»[٤٢٩].

قلت: التفصيل المشار إليه - واللّه أعلم - هو أن العلم بالنجار فيه قوة، لكن لا من جهة دلالة الأثر، ولكن من جهة انضمام المشاهدة العيانية إلى الدلالة المذكورة. فإن النجار مشاهد؛ شخصه أو نوعه. فصار للعلم بالنجار طريقان: طريق المشاهدة العيانية. وطريق دلالة الأثر.

وأما العلم بالحق سبحانه عند النظر في السماوات والأرض وما بينهما فهو أقوى وأقوى وأقوى. فإن آثار الصنع، وإتقان الفعل المشاهد في هذا العالم، مما تحار فيه العقول والأفهام، ولا تفي بتفاصيلها الدفاتر والأقلام. وفي علم النبات وأسراره، وعلم الحيوان وأسراره، وعلم تشريح الإنسان وأسراره، أَقْوَى شاهد على ذلك. مع أن الإنسان لم يؤت من العلم إلاَّ قليلا. ولم يجد إلى[٤٣٠] معرفة كنه الأشياء سبيلاً.

قال جعفر الصادق رضوان اللّه عليه: إن اللّه تعالى خلق الحواس، وجعل لها قلبا، واحتج به على العباد، ثمَّ جعل الحواس دلالات على الظاهر الذي يستدل (بِهِ)[٤٣١] العقل على الرب سبحانه الخالق. فنظرت العين إلى خلق[٤٣٢] مختلف متصل[٤٣٣]

(٤٢٧) في النسخ: فأي العالمين، والصواب من ط وسراج الملوك ١/٢٧٤.

(٤٢٨) ساقط من ل و م.

(٤٢٩) سراج الملوك ١/٢٧٤-٢٧٥.

(٤٣٠) في ل: إلاّ. وهو خطأ.

(٤٣١) ساقط من ل و م و ط.

(٤٣٢) في ل: إلى قلب.

(٤٣٣) في ل و م: متصف.

بعضه ببعض، فدلها القلب على أن لذلك خالقا. وذلك أنَّه فكَّر؛ حيث دلته العين على ما عاينت من عظم السماء، وارتفاعها في الهواء بغير عَمَدٍ يُرى، ولا دعائم يمسكها، وأنها لا تتأخر فتنكشط، ولا تتقدم فتزول، ولا تهبط مرة فتدنو، ولا ترتفع فتغيب، ولا تتغير بطول الأمد، ولا اختلاف الليل والنهار، ولا تتداعى منها ناحية، ولا ينهدم منها طرف... إلى أن قال: ثمَّ نظرت العين إلى ما هو(٤٣٤) أسفل منها من الأرض، فدلها القلب على أن لها خالقا. وذلك أن القلب فكر؛ حيث دلته العين على ما عاينت من ثبوت الأرض المسكة أن تزول، أو يَهْوِي منها شيء، وأنت ترى الريشة يهوِي بها فتسقط، وهي في الخفة على ما هي عليه. وترى الأرض في الثقل على ما هي عليه، لا تسقط ولا تزول، فعرف القلب أن لها مدبرا ممسكا. ولولا ذلك لانخسفت بما عليها من ثقلها، وثقل الجبال والآكام، والشجر، والبحور، والرمال. ثمَّ تكلم على غريب الصنع؛ الذي في الرياح المسخرة، والزلازل، والسحاب المسخر، واختلاف الليل والنهار. وأتى في ذلك بالعجب العجاب. ولم نثبت(٤٣٥) ذلك مخافة الطول.

ويصح أن يكون المراد بالتفصيل الذي أشار إليه الطرطوشي رحمه الله تعالى: هو أن العلم - من حيث إنه علم ويقين وجزم - لا يتفاوت، ولا يكون بعضه أقوى من بعض. ومن حيث متعلقاته(٤٣٦) وكثرتها وقلتها يتفاوت، ويكون بعضه أقوى من بعض.

فإن هذا هو مذهب المحققين. وعليه يتفرع عدم زيادة الإيمان ونقصانه(٤٣٧) (من حيث إنه إيمان، خلافا لمن قال: إن العلم يتفاوت من حيث إنَّه علم. وعليه يتفرع زيادة الإيمان ونقصانه)(٤٣٨). وحينئذ فالعلم بالنجار، والعلم بالحق سبحانه من حيث

(٤٣٤) في م إلى من هو.

(٤٣٥) في ل و لم يثبت.

(٤٣٦) في م متعلقاتها.

(٤٣٧) إذا كان الإيمان شيئا واحدا كما قالت المرجئة، ووافقهم على ذلك الأشاعرة، فإنَّه لا يزيد ولا ينقص. وهذا من أعظم اصولهم التي خالفوا فيها القرآن والسنة وإجماع الصحابة. وهو مشترك بينهم وبين الخوارج، وإن كان الخوارج يقولون: إن الإيمان شيء واحد، إذا زال جزؤه زال كله، ولهذا كفروا بالكبيرة. والمرجئة أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان، وقالوا: إن الإيمان شيء واحد، إذا زال جزؤه زال كله، وهذا لا يتصور إلاَّ بمثل الأمور الثلاثة التي ذكرها المؤلف في أول البحث. وهذا تفسير إخراجهم الأعمال عن مسمى الإيمان، حَتَّى لا يلزمهم من زوال جزئه زوال كله.

(٤٣٨) ما بين المعقوفتين ساقط من م.

إنَّه علم؛ لا يتفاوت يقينه وجزمه. ومن حيث الخارج، وكثرة الدلالات يتفاوت. فللعلم بالنجار دليلان، وللعلم بالحق سبحانه آلاف آلاف من الأدلة الصنعية. والله أعلم.

الخامس: ذكر الفخر رحمه الله في «التفسير الكبير»[٤٣٩]، والشهرستاني في «الملل والنحل»[٤٤٠] ما معناه: أنَّه ليس أحد في العالم يثبت لله شريكا، يساويه في الوجود والقدرة والعلم والحكمة. فهذا (ما)[٤٤١] لم يوجد إلى الآن. وإنما قصد سائر الكفرة بعبادتهم غير الله تعالى؛ التقرب إلى الله تعالى[٤٤٢]. واختلفوا لاختلاف أهوائهم في الشيء الذي يقع به التقرب على ثلاثة أصناف: أصحاب الروحانية، وأصحاب الهياكل، وأصحاب الأشخاص.

وهذه الأصناف الثلاثة؛ هي أصناف الصابئة[٤٤٣]. وتبعهم سائر أمم الكفرة.

ومذهب الصابئة بأسرها؛ أن للعالم صانعا فاطرا حكيما مدبرا مقدسا عن[٤٤٤]

---

(٤٣٩) لم أهتد إلى محله في التفسير الكبير.

(٤٤٠) ص٥١٥-٥١٦ (ط. دار الفكر، بيروت).

(٤٤١) ساقط من ل و م.

(٤٤٢) قال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾: «فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم، أو تقربهم من الله زلفى». تفسير ابن كثير ٥٠٦/٢.

(٤٤٣) الصابئة: مأخوذة لغة من: صبأ الرجل: إذا مال وزاغ. والصابئ: من خرج ومال من دين إلى دين. ولهذا كانت العرب تقول لمن أسلم قد صبأ.

فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق، وزيغهم عن نهج الأنبياء، قيل لهم: الصابئة.

وقد اختلف فيهم. فعن السدي: أنهم فرقة من أهل الكتاب. وعن مجاهد وغيره: هم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس. وعن الحسن وقتادة: هم قوم يعبدون الملائكة، ويصلون إلى القبلة، ويقرؤون الزبور. وقيل: إنهم قوم كانوا على دين نوح.

قال القرطبي: «والذي تحصل من مذهبهم – فيما ذكره بعض علمائنا – أنهم موحدون، معتقدون تأثير النجوم، وأنها فعالة. ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري القادر بالله بكفرهم حين سأله عنهم».

واستظهر الحافظ إبن كثير أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين. وإنما هم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه. ولهذا كان المشركون يَنْبِزُون من أسلم بالصابئ. أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك.

راجع: الملل والنحل ص٢٥٩، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٥١، تفسير غريب القرآن للرازي ص٨٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣٤/١-٤٣٥، تفسير ابن كثير ٩٩/١-١٠٠.

(٤٤٤) في ل: على.

سمات الحدوث. قالوا: فالواجب[٤٤٥] عليهم معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله. وإنما يتوصل إليه بواسطة.

فقال أصحاب الروحانيات[٤٤٦]: أولى الوسائط وأقربها وأفضلها هم الروحانيات، وهم الملائكة؛ لأنهم فُطروا على العصمة من المخالفة، وفُطروا على امتثال الأمر واجتناب المنهي عنه[٤٤٧]. فلا أقرب منهم إلى صانع العالم بزعمهم. فهم يتقربون إليهم، ويتكلمون[٤٤٨] عليهم. وهم أربابهم وَآلِهَتُهُم وشفعاؤهم عند رب الأرباب، وإله الآلهة، في خرافات لهم طويلة.

وقال أصحاب الهياكل[٤٤٩]: (إن الروحانيات لا تشاهد ولا تُرَى. والمتوسط لا بد أن يُرَى. فاتخذوا الهياكل[٤٥٠]؛ وهي الهياكل السبعة السيَّارة، وجعلوها بمثابة الأجساد للروحانيات، والروحانيات بمثابة الروح لها. قالوا: والمتقرب إلى جسدٍ متقربٌ إلى روحه. فيحصل المراد من المتوسط. وجعلوا هيكل زُحَل مسدسا، وهيكل المشتري مثلثا، وهيكل المريخ مستطيلا، وهيكل الشمس مربعا، وهيكل الزُّهرة مثلثا في وسطه مربع، وهيكل عطارد مثلثا في وسطه مستطيل، وهيكل القمر مثمنا. ثُمَّ اتخذوا لها الخواتم

---

(٤٤٥) في ل و م فالجواب.

(٤٤٦) في القاموس: الروح (بالضم): ما به حياة الأنفس، والقرآن، والوحي، وجبريل وعيسى عليهما السلام، وحكم الله وأمره، والمَلَك.. (وبالفتح): الراحة والرحمة. (وبالتحريك): السعة.
والروحاني (بالضم): ما فيه الروح، وكذلك النسبة إلى الملك والجن. جمعه روحانيون.
وأصحاب الروحانيات: فرقة من الصابئة. أثبتوا متوسطات روحانية، يأتونهم بالرسالة من عند الله من غير كتاب. فيأمرهم بأشياء، وينهاهم عن أشياء، ويسن لهم الشرائع، ويبين لهم الحدود.
راجع: الملل والنحل ص٢٦٠ وما بعدها.

(٤٤٧) في ل و م: النهي.

(٤٤٨) في ل و م: يتوكلون.

(٤٤٩) وهم فرقة من الصابئة. والمراد بهم: عبدة الكواكب: حيث قالوا بإلهيتها، إيمانا منهم بأن الإنسان لابُدّ له من متوسط يُرَى، ويتوجه إليه. ومن ثُمَّ فزعوا إلى الكواكب التي هي السيارات السبع. وفي تقريبهم إلى الهياكل تقرب إلى الروحانيات. وفي التقرب إلى الروحانيات تقرب إلى الباري تعالى.
هكذا يعتقدون. فالهياكل أبدان الروحانيات. ونسبتهم إلى الروحانيات نسبة أجسادنا إلى أرواحنا. راجع: الملل والنحل ص٣٠٣-٣٠٤.

(٤٥٠) ما بين المعقوفتين ساقط من ب.

المعمولة على صُورها، ولبسوا اللباس الخاص به، (وبخروا بالبخور الخاص به)[451] ودعوا بدعائه الخاص به، إلى آخر خرافاتهم السحرية.

وقال أصحاب الأشخاص[452] – وهي الأصنام –: الهياكل النجومية تغيب بالنهار. والمتوسط ينبغي ألا يغيب. فاتخذوا أصناما آلهة، تكون معهم، لا تغيب عنهم، على صور هياكل السيارة السبعة. وراعوا في ذلك جوهر الهيكل؛ أعني الجوهر الخاص به من الحديد وغيره. وصوروه بصورته على الهيئة المناسبة لصدور الفعل عنه. ورَعوا في ذلك الزمان والوقت والساعة والدرجة والدقيقة وجميع الإضافات النجومية. ورَعوا أيضاً في تقربهم إليه، ما يخصه في[453] اليوم والساعة والنجوم والخواتم واللباس والدعاء والعزيمة لينجح مطلبهم بزعمهم.

وقد ناظر الخليل عليه الصلاة والسلام هذين الفريقين. فناظر أصحاب الأشخاص؛ حيث قال: ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[454]. ولما كان أبوه آزر هو أعلم القوم بعمل الأصنام، ورعاية الإضافات[455] النجومية فيها، ولهذا يشترون الأصنام منه ولا يشترونها من غيره؛ أكثر إبراهيم عليه السلام من مناظرته. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[456] ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾[457] الآيات.

وناظر أصحاب الهياكل؛ حيث قال: ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا

---

(٤٥١) ما بين المعقوفتين ساقط من ل و م.

(٤٥٢) وهم عبدة الأوثان. اتخذوا أصناما أشخاصا، فسموها آلهة في مقابلة الهياكل السبعة، وقالوا: ﴿ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ من الآية ١٨ من سورة يونس.

ودعاهم إلى ذلك ان الهياكل السبعة تتعرض للطلوع والأفول، والظهور والخفاء، فلا بد من صور وأشخاص موجودة، قائمة، منصوبة أمام أعينهم، يعكفون عليها، ويتوسلون بها إلى الهياكل، ثُمَّ الرُّوحانيات، ثُمَّ الباري تعالى: ﴿ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ من الآية ٣ من الزمر.

راجع: الملل والنحل ص٢٠٤-٢٠٥.

(٤٥٣) في م و ب: من اليوم.

(٤٥٤) الصافات: ٩٥-٩٦.

(٤٥٥) في ل و م: الإضافة.

(٤٥٦) الأنعام: ٧٤.

(٤٥٧) مريم: ٤٢.

﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّي[458] فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً
قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٤٥٩]، [فهؤلاء هم فرق الصابئة][٤٦٠].

وأما المجوس: وهم أصحاب الإثنية[٤٦١] والمانوية[٤٦٢] وسائر فرقهم المجوسية، فهم من الحنفاء[٤٦٣].

---

(٤٥٨) قوله تعالى إخبارا عن إبراهيم: (هذا ربي) إمَّا أن يراد به استدراج القوم، وتعريفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه، فأراهم النقص الداخل على النجوم التي يعظمونها ويعبدونها، ليثبت خطأ ما يدَّعون. او انه قال ذلك على وجه الاستفهام الإنكاري، تقديره: أهذا الذي تدَّعون انَّه ربي؟ فلما غاب قال: لو كان إلها لما غاب.

وليس المراد انّه عبد هذه الأجرام الثلاثة؛ لأن هذا لا يليق بمنصب النبوة. وكيف يجوز ذلك في إبراهيم، وهو الذي قال الله في حقه: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾ الآيات، اي انه اتاه رشده وهداه من قبل البلوغ؛ أي من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾. راجع: تفسير ابن كثير ١٤٣/٢-١٤٤، تفسير البغوي ١٦١/٣-١٦٢.

(٤٥٩) الأنعام: ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩.

(٤٦٠) ما بين المعقوفتين ساقط من ل و م.

(٤٦١) التثنية أو الثنوية من المجوس؛ أثبتوا أصلين اثنين، مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضرر، والصلاح والفساد. يسمون أحدهما النور، والآخر الظلمة. وبالفارسية: «يزدَان» و«أهرمَن». وأما المانوية - وهو من الثنوية - أصحاب ماني بن فاتك الحكيم؛ الذي أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية. ومذهبه أن مبدأ العالم كونان: أحدهما: نور. والآخر: ظلمة. وكان يقول بنبوة المسيح دون موسى عليه السلام.

ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين:

إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة. وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معادا.

انظر: الملل والنحل ص٢٤٥-٢٥٦، درء تعارض العقل والنقل ١٩٥/٦، ٣٤٦/٩.

(٤٦٢) في ل و م: والمثانوية، وهو خطأ.

(٤٦٣) أصل الحنَف: الاعوجاج والانحراف في الرجْل، وهو أن تقبل إحدى إبهامي رجليه على الأخرى. حنَفَ عن الشيء وتحنف: مال. والحنيف: المسلم الذي يتحنف عن الأديان؛ أي يميل إلى الحق. قال أبو عبيدة في قوله عز وجل: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾: من كان على دين إبراهيم، فهو حنيف عند العرب. وكان عبدة الأوثان في الجاهلية يقولون: نحن حنفاء على دين إبراهيم، فلما جاء الإسلام سموا المسلم حنيفا. والدين الحنيف: الإسلام. والحنيفية: ملة الإسلام. والحنفاء: جمع حنيف، وهو المائل إلى الإسلام، الثابت عليه.

وكان الناس في زمان إبراهيم عليه السلام على صنفين: حنفاء، وصابئة.

والمجوس من الحنفاء. وهم من أهل الملل لا من أهل النحل؛ لأنّه كان لهم كتاب ثمَّ رفع.

والصابئة من أهل النحل والأهواء، لا من أهل الملل والشرائع. ولهذا كان يسن بالمجوس سنة أهل الكتاب في قبول الجزية(٤٦٤).

وانظر ابن حجر في شرح البخاريّ(٤٦٥)، فقد أطال في كونهم أهل كتاب ثمَّ رفع.

قال الشهرستاني(٤٦٦): ثمَّ انقسموا إلى فرق عديدة؛ فمنهم الكَيُومَرْثية والزرْوَانية والزرْدَشْتية(٤٦٧) والمانَوية والمُزْدَكية(٤٦٨) والديْصَانية وغيرهم من الفرق. وأطال في ذكر معتقداتهم، مع اتفاق الجميع على أن للعالم صانعا(٤٦٩).

وأما أهل الهند؛ فمنهم من كان على دين المجوس، يؤمن بإبراهيم عليه السلام. وقد سبق الكلام على المجوس.

ومنهم البراهمة(٤٧٠)؛ الذين ينكرون النبوة رأسا، ويحيلونها عقلا. فهم - لعنهم الله - وإن ارتكبوا هذه الورطة، قائلون بأن للعالم صانعا حكيما مدبرا لطيفا خبيرا، وأنه أنعم على عباده نعما توجب عليهم شكره.

---

(٤٦٤) يشير إلى حديث عمر بن الخطاب حين ذكر المجوس، فقال: ما ادري كيف أصنع في أمرهم. فقال عبدالرحمن بن عوف: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سُنوا بهم سنة أهل الكتاب».
اخرجه البخاريّ في كتاب الجزية والموادعة - باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب رقم (٣١٥٦) - فتح الباري ٦/٢٩٧، ومالك في الموطأ في كتاب الزكاة - باب جزية أهل الكتاب والمجوس رقم (٤٢)، والترمذي في كتاب السير - باب ما جاء في أخذ الجزية من المجوس رقم (١٥٨٦) (١٥٨٧)، وابو داود في كتاب الخراج - باب في أخذ الجزية من المجوس رقم (٣٠٤٣).

(٤٦٥) فتح الباري ٦/٣٠٢.

(٤٦٦) في كتابه: الملل والنحل ص٢٤٣ وما بعدها.

(٤٦٧) في م: والزراحشتية. وهو خطأ.

(٤٦٨) في الأصل: والمزكية، وهو خطأ.

(٤٦٩) راجع الملل والنحل ص٢٣٤ وما بعدها.

(٤٧٠) وهم طائفة هندية تنتسب إلى رجل منهم يقال له: بَرَاهم. فهو الذي مهد لهم نفي النبوات أصْلاً، وقرر استحالة ذلك في العقول. ولذلك، فهم يقولون بالتوحيد، وينكرون النبوات. وللبراهمة علامة تميزهم؛ وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف. راجع: الفصل في الملل والنحل ١/١٣٧، الملل والنحل ص٥٠٦-٥٠٧.

ومنهم[٤٧١] أصحاب البَدَدَة[٤٧٢]؛ والبُد[٤٧٣] شخص في هذا العالم لا يولد ولا ينكح، ولا يأكل ولا يشرب، ولا يهرم ولا يموت. والبَدَدَة عندهم على عدد الهياكل، أثبتوها واسطة بينهم وبين صانع العالم.

ومنهم أصحاب الفكرة: وهم أهل العلم بالفلك والنجوم والأحكام المنسوبة إليهما. وهم يعظمون أمر الفكر، ويزعمون أنَّه هو المتوسط بينهم وبين صانع العالم. ولهم في ذلك حكايات غريبة [وأمور غريبة][٤٧٤] يطول بنا[٤٧٥] ذكرها.

ومنهم من هو على مذهب الصابئة، في عبادة الملائكة والكواكب والأصنام، وقد سبق بيان ذلك.

وأما العرب[٤٧٦]؛ فأكثرهم على عبادة الأصنام. ومنهم من يتقرب إلى الملائكة. وقد أشار القرآن العزيز إلى الرد عليهم في غير آية. ومنهم من يتقرب إلى النجوم. وكانوا يعبدون الشِّعرى. قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴾[٤٧٧].

وأما الفلاسفة[٤٧٨]؛ وهم الحكماء. والفلسفة محبة الحكمة؛ لأن «فيلا» هو المحب، و«سوفا» هو الحكمة. فقد كانوا في الروم، وفي الهنود، وفي العرب أيضاً. إلاَّ أن حكماء العرب شرذمة قليلة؛ لأن أكثر حكمهم فلتات الطبع، وخطرات الفكر. والأصل في الحكمة للروم. وغيرهم عيال عليهم. وكلهم متفقون على أن للعالم صانعا مدبرا حكيما.

وبقى اليهود والنصارى[٤٧٩]، وهم مقرّون بأن للعالم صانعا أيضاً.

فهؤلاء هم أمم العالم، وأصناف بني آدم، وهم متفقون على الاعتراف بالحق سبحانه لا إله إلاَّ هو.

---

(٤٧١) أي من البراهمة.

(٤٧٢) حرفت في الأصل إلى البر. والمثبت من الملل والنحل ص٥٠٨.

(٤٧٣) ومعنى (البد): السيد الشريف.

(٤٧٤) ما بين المعقوفتين ساقط من ل و م.

(٤٧٥) ساقط من م.

(٤٧٦) راجع ما كانوا عليه من عبادة الأوثان والنجوم، وما تمسكوا به من شبهات في الملل والنحل ص٤٧٨ وما بعدها.

(٤٧٧) النجم: ٤٩.

(٤٧٨) راجع في شأنهم: الملل والنحل ص٣١٢ وما بعدها.

(٤٧٩) راجع ما يتعلق بهؤلاء في الملل والنحل ص٢١٠ وما بعدها.

وأما الطائفة المعطلة: فظاهر كلام الشهرستاني[٤٨٠] ثلاث فرق: معطلة الفلاسفة، ومعطلة الهنود، ومعطلة العرب. واستدل بآية الدهر التي سبق الكلام عليها إشكالا وجوابا.

وقال صاحب «تلخيص المحصل»[٤٨١]: «إن المعطلة - وهم الملاحدة - يقولون إنه تعالى موجود واحد، لكن لا بمعنى أنَّه متصف بالوجود والوحدة، بل من حيث إنه تعالى يعطي الوجود[٤٨٢] ويعطي الوحدة. وقالوا إن العقل لا يصل إليه؛ لأنّه مبدأ العقل. فلا يتصف بوجود ولا عدم، ولا كثرة ولا وحدة. وبالغوا في هذا التنزيه. ومن التنزيه عن التنزيه»[٤٨٣].

وقال السعد رحمه اللّه تعالى في «شرح المقاصد»[٤٨٤]: «وخالفت الملاحدة في وجود الصانع؛ لا بمعنى أنَّه لا صانع للعالم، ولا بمعنى أنَّه ليس بموجود ولا معدوم بلا واسطة[٤٨٥]، بل بمعنى أنَّه مبدأ[٤٨٦] لجميع المتقابلات؛ من الوجود والعدم، والوحدة والكثرة، والوجوب والإمكان. فهو متعال[٤٨٧] عن أن يتصف بشيء منها. فلا يقال له موجود، ولا واجد، ولا واجب، مبالغة في التنزيه. ولا خفاء في أنَّه هذيان بين البطلان».

وهذا هو الصواب عندي في المعطلة. وأنهم عطلوا الذات العلية عن جميع الصفات. لا أنهم عطلوا الصنع عن الصانع تعالى.

والأجوبة الصادرة من جعفر الصادق، وأبي حنيفة، والشافعي وغيرهم رضى اللّه عن جميعهم، لا تدل على وجود طائفة من العالم، تنتحل هذه النحلة الباطلة بالبديهة. والشبهة قد تعرض[٤٨٨] لواحد ونحوه فيطلب[٤٨٩] زوالها بالسؤال والجواب. وسببه كما قال جعفر الصادق رضي اللّه عنه: فتح باب المعاصي والشهوات، حتى تغلب الأهواء

---

(٤٨٠) في الملل والنحل ص٢١٢ وما بعدها. وص٤٩٠ وما بعدها. وص٥٠٦ وما بعدها.

(٤٨١) في الأصل: تلخيص المفصل. وهو خطأ.

(٤٨٢) في م: الموجود.

(٤٨٣) تلخيص المحصل ص١٥٤. (بتصرف).

(٤٨٤) ج٤ ص٢٤.

(٤٨٥) في م: بل واسطة.

(٤٨٦) في م: مبدأ الجميع. وفي شرح المقاصد ٢٤/٤: مبدع لجميع المتقابلات.

(٤٨٧) في شرح المقاصد ٢٤/٤: فهو متعلل عن.

(٤٨٨) في ل و م: تعترض.

(٤٨٩) في ب: فيبطل، ولا معنى له.

على العقول. وإلا فالحق أوضح من أن يخفى على أحد.

وهذا كلام جعفر. قال رضي الله عنه: ولعمري ما أوتي الجهال من قبل ربهم. وأنهم يرون الدلالات الواضحات، والعلامات الظاهرات في خلقهم، وما يعلمون في السماء والأرض من الصنع المتقن[٤٩٠]. ولكن فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصي والشبهات. فسهلوا إليها سبيل الشهوات. فغلبت الأهواء على عقولهم. واستحوذ الشيطان على قلوبهم. وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين.

وهذا آخر ما قصدته، وقصارى ما اعتمدته. ورحم الله امرءا سامح بالإغضاء، وواسى[٤٩١] بالرضا. وعذر بقصور الباع، وقلة الاطلاع. وشكر ما فيه من حسن التنبيه[٤٩٢]، ومزيد التعظيم لمولانا والتنزيه[٤٩٣]. فإنَّه لو أعطي القوس باريها، وأسكن الدار بانيها، لما عد[٤٩٤] أمثالنا في العير ولا في النفير. ولا ضربوا في سهام السبق بنقير ولا قطمير. ولا عدّوا في عداد الموالي ولا الصميم.

ولكنّ البلاد إذا اقشعرَّت وصَوَّحَ[٤٩٥] نبتها رُعِيَ الهشيم[٤٩٦]

وصلى الله على سيدنا محمَّد وآله عدد ما ذكر الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

وكان الفراغ منه[٤٩٧] بعد الزوال يوم الأربعاء التاسع عشر من ربيع النبوي عام سبعة وأربعين ومائة وألف. قاله وكتبه، عبد ربه تعالى، أحمد بن مبارك بن محمَّد بن علي السجلماسي، ثمَّ اللمطي، لطف الله به آمين.

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه[٤٩٨].

---

(٤٩٠) في ب: المتفق، وهو تحريف.

(٤٩١) في ل و م: وسامح.

(٤٩٢) في ل و م: التنمية، ولا معنى له.

(٤٩٣) في ط: والتنويه.

(٤٩٤) في م: لما عدم، وهو خطأ بين.

(٤٩٥) صَوح النبات: إذا يبس وتشقق.

(٤٩٦) البيت لأبي علي البصير كما في اللسان وغيره. وقبله بيت آخر، وهو:

لعمر أبيك ما نسب المعَلى إلى كرم وفي الدنيا كريم

(٤٩٧) في م: من نسخها.

(٤٩٨) في م: انتهى، رحمه الله، ونفع به آمين. وفي ب: ووافق الفراغ منه في أوساط جمادى الثانية عام أحد وثلاثمائة وألف، رزقنا الله خيره، ووقانا شره.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	٥٠	٨٧
سورة الحج		
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾	١	٩٩
سورة النور		
﴿ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ ﴾	٤١	٩١
سورة النمل		
﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾	١٦	٩٣
﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ ﴾	١٨	٩٢، ٩٤
﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾	٢٢	٩٢
﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾	٨٨	٨٧
سورة الروم		
﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ﴾	٨	٧٠
﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ ﴾	٩	٧٠
سورة لقمان		
﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾	٢٠	٩٨
سورة سبأ		
﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾	١٠	٩١
سورة الصافات		
﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ﴾	٩٥ – ٩٦	١٠٤
سورة غافر		
﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾	٥٧	٧
سورة الزخرف		
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	٩	٨٣
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾	٨٧	٨٣، ٨٦
سورة الجاثية		
﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾	٢٤	٨٦
سورة محمد		
﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	١٩	٩٩

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس أهم مصادر التحقيق ومراجعه

١ - الإبانة في أصول الديانة، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ)، دار القادري، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩١م.

٢ - الإجماع، لابن المنذر محمَّد بن إبراهيم (ت٣١٨هـ)، تح: فؤاد عبدالمنعم أحمد، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٣ - أحسن ما سمعت، للثعالبي، تصحيح: محمَّد أفندي عنبر، ط. المحمودية، مصر.

٤ - الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي عبدالملك الجويني (ت٤٧٨هـ)، تح: محمَّد يوسف موسى وعلي عبدالمنعم، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٠م.

٥ - أصول الدين، لأبي منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ)، ط. ١، اسطنبول، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م.

٦ - الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد محمَّد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار الأمانة، بيروت، ط١.. ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

٧ - التبصير في الدِّين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لأبي المظفر شاه بور بن طاهر بن محمَّد الإسفراييني (ت٤٧١هـ)، تعليق: محمَّد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م.

٨ - تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لأبي القاسم علي ابن الحسن بن عساكر (ت٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٩هـ.

٩ - ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، لأبي عبدالله محمَّد بن المرتضى اليماني (ت٨٤٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٠ - تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمَّد الرّازيّ (ت. ٣٢٧هـ)، تح: أسعد محمَّد الطيب، المكتبة التجارية، مكة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١١ - تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت٧٥٢هـ)، تح: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٢ - تهذيب تاريخ ابن عساكر، تهذيب ابن بدران عبدالقادر بن أحمد (ت١٣٤٦هـ)، ط. الترقي، دمشق.

١٣ - تهذيب التهذيب، لابن حجر، ط. حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٢٥هـ.
١٤ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمَّد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ط. دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
١٥ - جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، عبدالهادي التازي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢م.
١٦ - الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، لابن البيطار ضياء الدِّين عبدالله بن أحمد، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
١٧ - الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم محمَّد بن إدريس الرَّازيّ (ت٣٢٧هـ)، ط. حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
١٨ - حسن المحاضرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة، جلال الدِّين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط. عيسى البابي الحلبي ١٩٦٧م.
١٩ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله (ت٤٣٠هـ)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٢٠ - الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، محمَّد الأخضر، ط. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٧م.
٢١ - ديوان أبي العتاهية، تعليق: مجيد طراد، ط. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٥م.
٢٢ - ديوان أبي نَوَاس، تح: محمود كامل فرية، المكتبة التجارية، مصر.
٢٣ - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تح: سليم النعيمي، نشر وزارة الأوقاف العراقية، ١٩٨٢م.
٢٤ - الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري محمَّد بن عبدالمنعم، تح: إحسان عباس، ط. مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
٢٥ - سراج الملوك، لأبي بكر محمَّد بن الوليد الطرطوشي (ت٥٢٠هـ)، تح: محمَّد فتحي أبو بكر، ط. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٤م.
٢٦ - شرح السنوسية الكبرى المسماة (عمدة أهل التوفيق والتسديد، شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى، لأبي عبدالله محمَّد بن يوسف السنوسي الحسني (ت٨٩٥هـ)، ط. دار القلم، الكويت، ١٩٨٢م.

٢٧ - شرح المقاصد، للتفتازاني مسعود بن عمر (ت٧٩٢هـ)، تح: عبدالرحمن عميرة، ط. عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
٢٨ - صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، للسيوطي، تعليق: علي سامي النشار، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٩ - صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من السقاط والسقط، لابن الصلاح عثمان بن عبدالرحمن (ت٦٤٣هـ)، تح: موفق عبدالله عبدالقادر، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م.
٣٠ - فتح الباري، لابن حجر، ط. دار الريان، القاهرة، ١٩٨٦م.
٣١ - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، لأبي حامد محمَّد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تح: سليمان دنيا، ط. عيسى البابي الحلبي، ١٩٦١م.
٣٢ - قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، للثعلبي أحمد بن محمَّد (ت٤٢٧هـ)، ط. المكتبة التجارية، بيروت.
٣٣ - كتاب المغرب، للصديق بن العربي، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م.
٣٤ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٥ - التقاط الدرر، للقادري محمَّد بن الطيب (ت١١٨٧هـ)، تح: هاشم العلوي، ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.
٣٦ - مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، من إملاء ابن فورك أبي بكر محمَّد ابن الحسن (ت٤٥٦هـ)، تح: دانيال جيماريه، منشورات جامعة القديس يوسف، بيروت، دار المشرق، بيروت ١٩٨٧م.
٣٧ - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماءوالحكماء والمتكلمين، لفخر الدِّين محمَّد بن عمر الرّازيّ (ت٦٠٦هـ)، وبذيله: تلخيص المحصل، للطوسي نصير الدِّين محمَّد (ت٦٧٢هـ)، ط. الكليات الأزهرية، مصر.
٣٨ - المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة عبدالله بن محمَّد (ت٢٣٥هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
٣٩ - معجم المطبوعات العربية، يوسف إلياس سركيس، مكتبة الثقافة الدينية.
٤٠ - مناقب أبي حنيفة، للموفق بن أحمد المكي (ت٥٦٨هـ)، ومعه مناقب أبي حنيفة لحافظ الدِّين المعروف بالكردري، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.

٤١ - مناظرة جعفر الصادق مع الرافضي في التفضيل بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، تح: علي بن عبدالعزيز آل شبل، ط. دار الوطن، الرياضي ١٤١٧هـ.
٤٢ - المنقذ من الضلال، للغزالي، تح: عبدالحليم محمود، ط. دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٧٤م.
٤٣ - المواقف في علم الكلام، للإيجي عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد (ت٧٥٦هـ)، ط. عالم الكتب، بيروت.
٤٤ - مؤرخو الشرفا، ليفي بروفنسال، تعريب: عبدالقادر الخلادي، ط. دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م.
٤٥ - النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبدالله كَنون، ط. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٤٦ - وصف إفريقيا، للوزان الحسن بن محمَّد (ت٩٤٤هـ)، ترجمة: محمَّد حجي ومحمَّد الأخضر، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
٤٧ - اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، للأزهري محمَّد البشير ظافر، ط. دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات